مصادر الحديث النبوي وقواعده

عند الإمام ابن حزم الظاهري

د. مجيد الخليفة

مصادر الحديث النبوي وقواعده

عند الإمام ابن حزم الظاهري

منشورات الإلكترونية

٢٠٢٥-١٤٤٧

مصادر الحديث النبوي وقواعده

عند الإمام ابن حزم الظاهري

د. مجيد الخليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، اللّهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والصلاة والسلام على سيد الخلق ، الرسول الأمين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وأرضى اللّهم على آله الذين طهرهم الله تطهيراً ، وصحابته الذين كرمهم الله تكريماً ، ومن سار خلفهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

فإن السنّة النبوية هي الوعاء الثاني للوحي بعد كتاب الله تعالى، وهي البيان العملي والتفصيلي للشريعة الإسلامية، وبها يُفهم القرآن، وتُعرف الأحكام، وتُستنبط القواعد، وتستقيم معالم الدين في الاعتقاد والعبادة والسلوك والمعاملة. وقد أدرك علماء الإسلام منذ القرون الأولى أن حفظ السنة هو حفظ للدين نفسه؛ إذ لا سبيل إلى فهم مراد الله تعالى إلا من خلال بيان رسوله صلى الله عليه وسلم، فهبّوا لخدمة الحديث روايةً ودرايةً، نقدًا وتمحيصًا، جمعًا وتصنيفًا، حتى نشأ علمٌ فريد لم تعرف البشرية له نظيرًا في دقته ومنهجه، وهو علم الحديث الشريف بأصوله وقواعده ومصطلحاته.

وقد تتابعت جهود الأئمة في تقعيد هذا العلم وتحرير مسـائله، فظهر في الأمة رجال أفذاذ جمعوا بين سعة الحفظ وقوة النظر ودقة الاستنباط، وكان من أبرزهم الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سـعيد بن حزم الظاهري، ذلك الإمام الموسـوعي الذي امتد علمه إلى الفقه والأصـول والحديث واللغة والمنطق والأنساب والتاريخ، حتى غدا أحد أعلام الفكر الإسلامي في الأندلس، بل في العالم الإسلامي كله.

وإذا كان الإمام ابن حزم قد اشـتهر عند كثير من الباحثين بانتسـابه إلى المذهب الظاهري، وبحدّة منهجه في الجدل والمناظرة، فإن جانبَه الحديثي ما يزال بحاجة إلى مزيد من الكشـف والدراسـة، ولا سـيما فيما يتعلق بمصـادر الحديث النبوي عنده، وقواعده في قبول الأخبار وردّها، ومنهجه في التعامل مع الأسـانيد والرواة والمتون، فقد كان ابن حزم محدّثًا ناقدًا قبل أن يكون فقيهًا مناظرًا، وكانت نظرته إلى السنّة قائمة على تعظيم النص، والاعتماد على الدليل، ورفض التقليد، وإخضاع الأقوال لميزان الرواية الصحيحة والثبوت الحديثي.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب الموسـوم بـــ: **مصـادر الحديث النبوي وقواعده عند الإمام ابن حزم الظاهري**، ليكون محاولة علمية جادة في اسـتقراء المنهج الحديثي عند هذا الإمام الكبير، والكشـف عن الأصـول التي بنى عليها أحكامه الحديثية والفقهية، وبيان موقفه من مصـادر التلقي والرواية، والقواعد التي اعتمدها في التصحيح والتضعيف والاستدلال.

إن الحديث عن ابن حزم ليس حديثًا عن فقيه تقليدي يكرر ما سبقه إليه غيره، بل عن عقلية نقدية متفردة، امتلكت جرأة المراجعة، وقوة الاستدلال، والاستقلال في النظر، فلم يكن يتردد في مخالفة الجمهور إذا ظهر له الدليل، ولم يكن يقبل حديثًا لمجرد اشتهاره، كما لم يكن يردّ خبرًا صحيحًا لأجل معارضة المذهب أو العرف العلمي السائد، ولهذا تميز منهجه الحديثي بطابع خاص يجمع بين ظاهرية النص، وشدة التمسك بالإسناد، والاعتماد الكبير على قواعد الاتصال والثقة والعدالة.

وقد برزت أهمية دراسة هذا الموضوع من عدة جهات:

أولها: أن الإمام ابن حزم يمثل مدرسة علمية مستقلة داخل التراث الإسلامي، لها أصولها الخاصة في فهم النصوص والتعامل مع الأخبار، مما يجعل دراسة قواعده الحديثية مدخلًا مهمًا لفهم مذهبه كله.

وثانيها: أن كثيرًا من الدراسات المعاصرة تناولت ابن حزم من زاوية فقهية أو فكرية أو عقدية، بينما ظل منهجه في علوم الحديث متناثرًا في كتبه، لا سيما في «الإحكام»، و«المحلّى»، و«الفصل»، و«الإيصال»، و«التقريب»، وغيرها، دون جمعٍ شامل أو دراسة تحليلية وافية.

وثالثها: أن دراسة القواعد الحديثية عند ابن حزم تسهم في إبراز ثراء التراث الإسلامي وتنوع مناهجه النقدية، وتكشف عن عمق العقلية الحديثية

في الحضارة الإسلامية، بعيدًا عن الصور النمطية التي تحصـــر علم الحديث في مجرد النقل المجرد.

ورابعها: أن العودة إلى مناهج الأئمة الكبار في نقد الأخبار وتمحيص الروايات تكتسب أهمية متزايدة في العصر الحاضر، خاصة مع كثرة الطعون المثارة حول السنة النبوية، ومحاولات التشكيك في حجيتها أو مناهج المحدثين في حفظها ونقدها.

وقد اعتمد هذا الكتاب على تتبع النصوص الحديثية والأصولية عند الإمام ابن حزم، واستقراء عباراته وأحكامه واستنباط قواعده، مع المقارنة أحيانًا بينه وبين أئمة الحديث والأصـــول؛ لإبراز مواضـــع الاتفاق والاختلاف، وبيان خصوصية منهجه وأثره في الأحكام الفقهية والاستدلالية.

وليس المقصـــود من هذا الكتاب مجرد عرضٍ تاريخي أو تجميعٍ نقلي، بل محاولة لفهم البنية الفكرية والمنهجية التي حكمت تعامل الإمام ابن حزم مع السـنة النبوية، وكيف استطاع أن يبني مشرـوعه الفقهي والأصـولي على رؤية حديثية صارمة تقوم على مركزية النص ووضوح الدليل.

وإذا كان العلماء يختلفون في تقييم بعض اختيارات ابن حزم أو شـــدته في النقد والرد، فإنهم يكادون يتفقون على سعة اطلاعه، وقوة حفظه، ونباهة ذهنه، وشـــجاعته العلمية، حتى قال فيه غير واحد من أهل العلم: « كان بحراً لا

ســـاحل له »، وقد ترك تراثًا ضـــخمًا لا يزال إلى اليوم مادة خصـــبة للبحث والدراسة والتحقيق.

وإنني إذ أقدم هذا العمل، فإني أرجو أن يكون لبنة نافعة في خدمة الســـنة النبوية وعلومها، وأن يسهم في إحياء الدراسات الحديثية المتخصصة في مناهج الأئمة، وأن يفتح الباب لمزيد من الدراسات الجادة حول تراث الإمام ابن حزم الحديثي، الذي ما يزال يحمل كثيرًا من الكنوز العلمية الجديرة بالكشــف والتحليل.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في الجهود المبذولة لخدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إننا إذ نضع حديث ابن الإمام ابن حزم الظاهري بين يدي القارئ الكريم ، والباحثين منهم بشــكل خاص ، نأمل أن تكون هناك دراســات جادة في تناول هذه الشـــخصـــية الفذة ، ونحن بدورنا قد اجتهدنا في جمع مادة هذا الكتاب وتخريجه ، فإن كان فيه خطأ أو زلل ، فنســـأل الله العفو والعافية ، وإن كان فيه صـواب ، فنحمده تعالى عليه ، وصـلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين .. وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

التعريف بابن حزم

المبحث الأول
التعريف بابن حزم

اصله ونسبه :

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف ابن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي ، مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وهذا هو النسب الذي ذهب إليه أشهر تلميذين لابن حزم هما : صاعد الأندلسي والحميدي[(١)] ، كما ذهب إليه معظم المؤرخين الذي ترجموا لأبي محمد ابن حزم ، منهم ابن بشكوال ، والضبي والمراكشي من الأندلسيين[(٢)] ، ومن المشارقة : الحموي وابن خلكان والذهبي[(٣)] ، وهو الراجح بين الباحثين[(٤)].

---

(١) طبقات الأمم : ص ٧٥ ، جذوة المقتبس : ٣٨٩/٢ .

(٢) ينظر حسب الترتيب : الصلة : ٦٠٥/٢ ؛ البغية : ٥٤٣/٢ ؛ المعجب : ص ٧١ .

(٣) ينظر حسب الترتيب : معجم الأدباء : ٢٣٥/١٢ ؛ وفيات الأعيان : ٣٢٥/٣ ؛ سير أعلام النبلاء (الجزء الخاص بترجمة ابن حزم) : ص ٢١ .

(٤) ينظر كتابنا : ابن حزم ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية : ص ٢١ .

مولده ونشأته :

ولد ابن حزم في ٢٩ رمضان سنة ٣٨٤هـ ، وقد أرخ تاريخ وفاته بصورة دقيقة ، وبخط أبيه عندما قال ولدت : « قبل طلوع الشمس آخر ليلة الأربعاء»[١]، في مدينة قرطبة ، بربض منية المغيرة ، في الجانب الشرقي منها .

عاش ابن حزم حياة مترفة ، وذلك لمكانة والده ، الذي كان من وزراء الدولة العامرية ، وأخذ تعليمه الأولي على يد الجواري ، فهو يقول عنهن : « وهن علمنني القرآن وروَّينني كثيراً من الأشعار ، ودربنني على الخط »[٢]، ثم بدأ يحضر مجلس والده الوزير الذي كان يضم الأدباء والشعراء والمفكرين والعلماء[٣]، والظاهر أن والده كان يعده إعداداً سياسياً ، بذكرنا بحياة الأمير عبد الله بن بلقين أحد أمراء الطوائف، الذي وصف لنا نشأته : « وقد كنا – معشر أهل بيت المملكة – نرى من أكد ما نتأدب به، أعمال السياسة في طلب الرياسة والسعي لها بكل الوجوه »[٤] ، إن اهتمام ابن حزم بالسياسة والسياسيين لم يدم طويلاً ، ويبدو أنها لم تكن توافق ميوله ورغباته، ولهذا وجدنا هذه الميول تستقر

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ٦٠٦/٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ص ٥١ .

(٢) ابن حزم ، الرسائل : ١٦٦/١ .

(٣) الحميدي ، الجذوة : ٨٢/١ ، ١١٠ .

(٤) التبيان : ص ١١ .

عنده ، أثناء جنازة أحد أقاربه، فبدأ وكأنه جاهل بسنن الصلاة، وكان ذلك دافعاً قوياً لاتجاهه لدراسة العلوم الفقهية[1] ، وقد أشار إلى أنه مرَّ بمثل هذا في بعض مؤلفاته، وكأنه يقارن فيها بين حياته قبل العلم، وحياته بعد العلم بقوله : «أغاظني أهل الجهل مرتين من عمري : إحداهما بكلامهم فيما لا يسحنونه أيام جهلي ، والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتي أيام علمي »[2] .

عائلته:

ذكرنا سابقاً أن أصله يعود به إلى جده خلف بن معدان، الذي كان أول من دخل الأندلس من أجداده ، وكان ذلك في عهد عبد الرحمن بن معاوية الداخل[3]، وقد سكن آباؤه قرية (منت ليشم) وهي من إقليم الزاوية من كورة لبلة من غرب الأندلس[4] ، ثم انتقل جده سعيد إلى قرطبة، وسكن هو وأبناؤه فيها، وسرعان ما نالوا مكانة مرموقة، تمثلت بوصول والد الفقيه أبي محمد بن حزم إلى الوزارة بالدولة العامرية[5].

---

(١) الحموي ، معجم الأدباء : ١٢/٢٤٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ص ٣٧ .

(٢) الرسائل : ١/٣٤٥ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ص ٢١ .

(٤) الحموي ، معجم الأدباء : ١٢/٢٣٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٣/٣٢٧ .

(٥) الحميدي ، الجذوة ١/١٩٩ ؛ المراكشي : المعجب : ص ٧١ .

وقد تولى والده أحمد بن سعيد بن حزم منصب الوزارة للمنصور ابن أبي عامر سنة ٣٨١هـ، وكان المدبر لدولته، والأخص به ، وجعل خاتمه في يده ، ثم أصبح وزيراً لابنه عبد الملك المظفر حتى نهاية سنة ٣٩٩هـ ، ولم يعش والد ابن حزم بعد ذلك ، إلا ثلاثة سنوات ، فأدركته الوفاة سنة ٤٠٢هـ[١] .

أما سكن عائلة ابن حزم ، فقد كان في الجانب الشرقي من قرطبة ، في مدينة الزاهرة ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الجانب الغربي من المدينة، ببلاط مغيث في جمادى الآخرة سنة ٣٩٩هـ، والظاهر أن سبب هذا الانتقال، يعود إلى تسلم محمد ابن هشام المهدي مقاليد الأمور في قرطبة، وبداية الفتنة فيها ، وقد بقيت العائلة في هذا المكان ، حتى أول محرم سنة ٤٠٤هـ حين أجليت عن منازلها، وكان السبب هذه المرة، تغلب البربر على قرطبة[٢] .

وكانت لهذه المكانة السياسية المرموقة ، انعكاساً إيجابياً على أفرادها ، فقد تمتعت عائلة ابن حزم بنشاط متميز في الحياة العامة بقرطبة ، فقد وصفهم ابن خاقان بقوله : « وبنو حزم فتية علم وأدب، ، وثنية مجد وحسب »[٣] ، فابن عمه أحمد بن عبد الرحمن بن غالب (ت٤٢٧هـ) كان قد تولي الحكم بالجانب الغربي

---

(١) ينظر : الجذوة : ١٩٩/٢ ؛ الصلة : ٥٧/١ ؛ أعتاب الكتاب : ص ١٩١ .

(٢) ابن حزم ، الرسائل : ٢٥٢/١ .

(٣) مطمح الأنفس : ص ٢٠٢ .

بقرطبة أيام المهدي[1]، بينما كان ابن عمه عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٤٣٨هـ) ، قد شارك ابن حزم في وزارة عبد الرحمن بن هشام المستظهر سنة ٤١٤هـ ، بالرغم من كون العلاقة بين الرجلين كانت على غير وئام، إذ جرت بينهما مراسلات حادة ، وكان لعبد الوهاب هذا ابن اسمه العلاء (ت٤٥٤هـ)، وهو من أهل العلم والمعرفة والهمة في طلب العلم[2].

ونجد من المناسب أن نذكر هنا الأخ الأكبر لابن حزم الذي توفي بطاعون قرطبة في ذي القعدة من سنة ٤٠١هـ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، واسمه أبو بكر[3]، ولم تذكر المصادر أفراد أسرة ابن حزم الآخرين ، وخاصة أمه، أو ابنه الأكبر « محمد » الذي تكنى به ابن حزم، ولدينا معلومات جيدة عن نشاط ابنه أبي رافع الفضل، الذي كان لديه أيضاً اهتمام بالأمور السياسية، فقد كان في خدمة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية[4] ، وهو بالإضافة إلى ذلك، صاحب أدب ونباهة، وسار على طريق أبيه في الفقه، فكان ظاهري المذهب[5]، كما أنه أسهم في رفد الحركة الفكرية الأندلسية بتأليفه كتاب « الهادي إلى معرفة النسب

---

(١) الجذوة : ٢٠٦/١ ؛ الصلة : ص ٨٠ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة : ١/١/ص ١٦١ – ١٦٦ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٦٤٧/٢ .

(٣) ابن حزم ، الرسائل : ٢٥٩/١ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٣٠٩/٣ .

(٥) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة : ٥٤٠/٢/٥ .

العبادي »[1]، واستشهد في موقعه الزلاقة في منتصف رجب سنة ٤٧٩هـ[2]، ومن أبنائه الآخرين، أبو أسامة يعقوب (ت٥٠٣هـ) ، الذي تتلمذ على يد أبيه، وكانت له رحلة إلى المشرق، وشهد له ابن بشكوال بالنباهة والاستقامة[3]، وكان للأخير اهتمام خاص بمؤلفات والده التاريخية، فنجده يحدث بكتاب « نقط العروس في تاريخ الخلفاء »، ويجيزه لعدد من التلاميذ[4] ، ونملك معلومات، ولكنها قليلة جداً ، عن ابنه الآخر أبي سليمان مصعب ، الذي وصفه لنا ابن خير بالفقيه[5] ، وكان أيضاً من تلاميذ والده، ولا نملك أي تفاصيل أخرى غير هذه النتف الواردة في بعض المصادر .

من هنا يتضح جلياً ، المكانة المرموقة التي وصلت إليها عائلة ابن حزم في المجتمع الأندلسي، والتي شملت جوانب مهمة في الشرع والسياسة والأدب ، ولابد أن تكون هذه العائلة بما حملته من مقومات، قد ساعدت في بناء شخصية ابن حزم ، كما أثرت هذه العائلة في الحياة العلمية بالأندلس، فلم يكن موت ابن

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ١٣/٢/١ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٣٢٩/٣ .

(٣) الصلة : ٩٨٨/٣ .

(٤) ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي : ص ٣٧ .

(٥) ابن خير ، الفهرسة : ٤٥٦/٢ .

حزم أفولاً لنجمها ، ولكن الشيء الذي يمكن أن نقوله، أن ابن حزم يمثل قمة هذه العائلة، حيث أن ذكره طغى على ذكرها.

رحلاته:

من المهم أن نبين رحلات ابن حزم في حواضر الأندلس، التي تشكل أهمية في تتبع ثقافته وسيرته، والتي لابد أن تكون قد أسهمت إسهاماً جدياً في تكوينه الفكرية، في الوقت الذي توضح لنا نشاط ابن حزم السياسي ، وتفاعله مع مجتمعه ، خصوصاً وأنه زار الكثير من مدن الأندلس، كما يتضح من قول ابن بشكوال : « تجول بالأندلس »[١].

تذكر المصادر التاريخية أن ابن حزم كان قد غادر ابن حزم قرطبة لأول مرة في محرم سنة ٤٠٤هـ، بعد تغلب البربر على هذه المدينة ، واتجه إلى مدينة المرية ، وأقام فيها[٢] ، وفيها التقى بابن النغريلة اليهودي، في السنة نفسها[٣] ، وكانت هذه المدينة تحت سيطرة خيران العامري[٤] ، حيث دخلها في سنة ٤٠٥هـ،

---

(١) الصلة : ٣/٦٠٥ .

(٢) ابن حزم ، الرسائل : ١/٢٥٩ .

(٣) ابن حزم ، الفصل : ١/٢٤٥ .

(٤) خيران العامري، أحد الفتيان العامريين ، الذين اســتطاعوا الفرار من الفتنة في قرطبة، والسيطرة على شرق الأندلس، اشتهر بالشجاعة وحسن التدبير، سيطرة على مرسية=

واستقر ابن حزم في هذه المدينة حتى محرم سنة ٤٠٧هـ، حينما اتهمه خيران العامري بالدعوة للدولة الأموية، فحبسه أشهراً، ثم أطلق سراحه، فرحل إلى حصن القصر[١] ، وقد طابت إقامته في هذا الحصن، إلا أنه سرعان ما غادره في السنة نفسها إلى مدينة بلنسية، بعد أن دعى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الناصر لنفسه، وتلقب بالمرتضى سنة ٤٠٩هـ[٢] .

ونظراً للتنافس الحاد بين أمراء الطوائف ، وهي السمة التي ميزت هذا العصر ، لم يستقر المقام بابن حزم مع المرتضى طويلاً ، إذ حدثت معركة بين الأخير ، وزاوي بن زيري ، أمير صنهاجة وكان ذلك في أواسط سنة ٤٠٩هـ ، انتهت بانتصار أمير صنهاجة ، ووقع ابن حزم أسيراً لدى هذا الأمير، الذي سرعان ما منَّ على ابن حزم فأطلق سراحه، فاتجه إلى قرطبة، حيث دخلها في شوال سنة ٤٠٩هـ[٣] .

=سنة ٤٠٣هـ والمرية ، وناصر عبد الرحمن المرتـضى، وأمده بجند إلا أن في سنة ٤١٩هـ أدركته الوفاة ، فخلفه أخوه زهير العامري . ينظر: ابن الخطيب ، أعمال الأعلام : ابن عذارى ، البيان : ١٦٦/٢ .

(١) ابن حزم ، الرسائل : ٢٦١/١ . وحصن القصر يقع إلى الجنوب الغربي من إشبيلية .

(٢) المصدر السابق : ٢٦٢/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٣/١ .

وهكذا نجد ابن حزم يعود إلى مدينة قرطبة، وكله حماس لإصلاح الوضع المتردي، الذي تمر به هذه المدينة، فمكث فيها حتى بيعة عبد الرحمن بن هشام المستظهر في ١٦ رمضان سنة ٤١٤هـ، فكان ابن حزم أحد وزرائه، إلا أن بقاء المستظهر في الحكم لم يدم طويلاً، إذ قتل بعد سبعٍ وأربعين يوماً من توليه الخلافة، وزجَّ بابن حزم في السجن[١]، وبعد خروجه من السجن، رحل عن قرطبة، لنجده هذه المرة في مدينة شاطبة[٢] ، ولا نعلم أذهب إليها مباشرة، أم مرَّ بغيرها من مدن الأندلس ، وبقي فيها حتى بيعة هشام بن محمد بن عبد الله الملقب بالمعتد بالله في ربيع الأول سنة ٤١٨هـ، فعاد ابن حزم إلى قرطبة، ليكون أحد وزراء المعتد بالله ، وهذه الرواية تفرد بنقلها صاعد الأندلسي ، ونقلها عنه فيما بعد الحموي[٣]، وتغفل باقي المصادر عن ذكرها، ويبدو أن دور ابن حزم فيها كان ضئيلاً، لأن المعتد بالله نفسه لم يكن مهتماً بالأمور في قرطبة، وكان ذلك سبباً رئيساً في إثارة العامة عليه، وطرده منها سنة ٤٢٢هـ، والظاهر أن هذا التاريخ هو نهاية المطاف السياسي في حياة ابن حزم .

---

(١) ابن سعيد ، المغرب : ١/٥٥ ؛ ابن بسام ، الذخيرة : ١/١/٤٨ .

(٢) ابن حزم ، الرسائل : ١/٢١٦ .

(٣) طبقات الأمم : ص ١١٦ ؛ معجم الأدباء : ١٢/٢٣٧ .

وإلى هذه النقطة ، لا تسعفنا المصادر في تتبع رحلات الإمام ابن حزم ، أو المدن التي زارها بعد هذا التاريخ ، وهناك إشارة إلى ذهابه إلى الثغر الأدنى في الأندلس(١) ، وحدث عن بعض المشايخ بمدينة سرقسطة(٢) ، ودخل إلى جزيرة ميورقة بعد سنة ٤٣٠هـ(٣) ، وهناك حدثت المناظرة بينه وبين أبي الوليد الباجي، وعدد آخر من فقهاء المالكية، وقد أدى ذلك إلى سجنه واستهانته(٤) .

فيرحل ابن حزم إلى إشبيلية بعد ذلك، وأميرها المعتضد بن عباد، ولكنه تعرض هذه المرة لمحنة جديدة تمثلت بإحراق كتبه وتمزيقها علانية ، ويغادر إشبيلية، وهو يردد قصيدته والتي نظمها عند الخروج منها(٥) :

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوِّ العُلُومِ مُنِيرَةً ... وَلَكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلِعِيَ الغَرْبُ

وهكذا اضطر ابن حزم تحت ضغط هذه المحن، إلى العودة إلى قرية أجداده، « منت ليشم » في غرب الأندلس من كورة لبلة ، حيث بقي فيها إلى أن حضرته

---

(١) المحلى : ١٨٢/٣ ؛ الفصل : ١٣٥/٤ .

(٢) المحلى : ١٨٢/٣ .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٩١/٢ ، وميورقة : هي أكبر الجزر التي تقع شرق الأندلس ، فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ . معجم البلدان : ٢٤٦/٥ .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة : ٩٦/١/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك : ٨٠٣/٤ .

(٥) ابن بسام ، الذخيرة : ١٦٩/١/١ ؛ الحموي ، معجم الأدباء : ٢٤٩/٤ .

الوفاة في ٢٨ شعبان ٤٥٦هـ ، تاركاً وراءه تراثاً ضخماً ، وذكراً باقياً في مضامير العلماء ، رحمه الله تعالى[١] .

مذهبه:

مما لا شك فيه أن الذي ميز شخصية ابن حزم أكثر من أي شيء آخر هو مذهبه الظاهري ، الذي أصبح علامة مميزة له ، بل من المفارقات في الأمر أن ابن حزم أعطى لهذا المذهب أكثر من مؤسسه داود الظاهري ، كما أن سيادة المذهب المالكي ، مع شيء من التعصب ، قد أثر في نهج ابن حزم وكتاباته تأثيراً واضحاً بيناً ، وقد كان يسود الأندلس في تلك الحقبة، المذهب المالكي، والذي لم يكن له منافس آخر، ويعلل ابن حزم سيادة هذا المذهب على الساحة الفقهية في الأندلس، بسبب سياسي، فهو يذهب إلى أن هناك مذهبين انتشرا بالرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة بالعراق، ومذهب : «مالك عندنا بالأندلس»[٢]وليس هذا مقام دراسة أسباب سيادة المذهب المالكي في الأندلس ، ولكن هذا النص يبين لنا وجهة نظر ابن حزم تجاه هذه السيادة .

---

(١) الصلة : ٢/٦٠٦ ؛ وفيات الأعيان : ١/٢٤٥ .

(٢) الإحكام : ١/٥٧٦ .

ولا نعلم بالتحديد كيف وصـــل هذا المذهب إلى ابن حزم ، وهو بقرطبة البعيـدة جـداً عن بغـداد ، ولكننـا من خلال تتبع بعض رحلات طلبـة العلم الأنـدلســيين نجد إشـــارات تبين طريقـة الانتقـال من خلال هـذه الرحلات العلمية، فمن هؤلاء عبد الله بن محمد بن قاسـم (ت٢٧٢هـ) الذي أدخل كتب داود الظاهري (ت٢٧٠هـ) ، مؤسـس هذا المذهب إلى الأندلس، وقد ذكره ابن حزم ، وأثنى عليه[١]، وعلى منذر بن سـعيد البلوطي (ت٣٥٥هـ)، والذي قال عنه أيضاً : «كان داودي المذهب قوياً على الانتصار له»[٢] ، أما شيخه المباشر، في هذا المذهب فهو مسـعود بن سـليمان (ت٤٢٦هـ) ، فعنه أخذ مذهب داود ، ثم اسـتقر عليه ابن حزم إلى أن مات ، كما أن هناك عدداً من الأندلسـيين كانوا على المذهب الظاهري أيضاً منهم : إبراهيم بن عيسى الثقفي[٣] ، ومن الوافدين على الأندلس أيضاً : محمد بن عبد الله بن طالب البصري ، الذي دخل الأندلس تاجرا سنة ٤٢٠هـ ، وكان ظاهري المذهب، ومحمد بن سليمان بن محمود الحراني

---

(١) الرسائل : ٢/١٨٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢/١٧٩ .

(٣) الراجح لدينا أنه الرجل نفسه الذي ذكره ابن حزم في طوق الحمامة وهو شاعر وقال : «كان يقول بالخبر»، أي يعتقد المذهب الظاهري، أما وفاته فإن ابن حزم يترحم عليه عندما يذكره في طوق الحمامة ، المصدر السابق : ١/١٧٦ .

الظاهري ، الذي قدمها لسبب نفسه سنة ٤٢٣هـ : « وكان معتقداً لمذهب داود الظاهري، وأصحابه، محتجاً لهم »[١].

ومن المعروف أن ابن حزم كان قد تأخر نسبياً في دراسة المذهب المالكي السائد في الأندلس آنذاك، ويعود السبب في ذلك إلى أنه اعتنق المذهب الشافعي في بداية حياته العلمية، وكان لمذهب الشافعي موطئ قدم في الأندلس، خاصة في عصر الخلافة ، يقول ابن حيان في كلامه على مذهب ابن حزم : « ومال إلى النظر على رأي الشافعي، وناضل عن مذهبه حتى وسم به، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ، ثم عاد إلى قول أصحاب الظاهر »[٢]، وفي هذا دليل واضح على أن ابن حزم بقي على مذهب الشافعي سنوات عديدة، ربما حتى سنة ٤٠٩هـ، حينما درس مذهب الإمام مالك، وتحول بعدها إلى المالكية، وعند اعتراض ابن حزم على مسألة قال له بعض الحاضرين : « هذا العلم ليس من منتحلاتك، فقام وقعد فدخل منزله فعكف... وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع، فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها: أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب »[٣] ، وهناك نوع من التعارض بين هذه

---

(١) الصلة : ٨٦٦/٣ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٢٠٠/١٨ .

(٣) المصدر السابق .

الرواية ورواية تلقيه الفقه المالكي، على يد ابن دحون فالرواية الأولى حدثت في بلنسية، والذي نعلمه أنه عاش في هذه المدينة للمدة من سنة ٤٠٧ – ٤٠٩هـ، بينما حدثت الرواية الثانية في سنة ٤١٠هـ ، وكان ابن حزم قد دخلها في سنة ٤٠٧هـ، وربما تكون الثلاث سنوات التي عناها الذهبي هي ٤٠٩ – ٤١١هـ ، وهي المدة التي نرجح أنه درس فيها الفقه المالكي، في الوقت الذي كان ظاهري المذهب[١].

ومن الملاحظ أن المذهب الظاهري أثر تأثيراً كبيراً في حياة ابن حزم ، وطبع نتاجه العلمي والفكري – على تنوعه واختلافه – بهذا الطابع ، فهو يذم التقليد، ويأخذ أرجح الأقوال القريبة من الكتاب والسنة والإجماع ، ولا يقول بشيء إلا وله أصل في الكتاب والسنة ، وعندما بحثنا منهجه في دراسة وتقرير العقيدة الإسلامية وجدناه يسير على المبدأ ذاته ، لا يحيد عنه ، ومن الفارقات في هذا الأمر أنه كان يماشي أبا عمر بن عبد البر ، وقد رأى شاباً مليحاً ، فأعجب ابن حزم ، فقال أبو عمر: لعل ما تحت الثياب ليس هناك، فقال مترجلاً :

ألم تر أني ظاهري وإنني ... على ما رأى حتى يقوم دليل[٢]

---

(١) ينظر كتابنا ابن حزم الأندلسي : ص ٨٢ .

(٢) ابن خاقان ، مطمح الأنفس : ص ٢٨١ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٨٣/٢ .

ولا بد من الإقرار أن ابن حزم قدم للمذهب الظاهري ما لم يقدمه مؤسسه نفسه ، فقد استطاع أن يقدمه بإطار جديد، ويجعله أكثر مرونة ، وقد شهد له معاصروه بذلك ، يقول ابن حبان بهذا الخصوص : « فنقحه وجادل فيه، ووضع الكتب في بسطه »[1]، وليس أدل على ذلك من أن ابن حزم أوجد مذهباً قابلاً للتطبيق، بعد أن كان هذا المذهب يوسم بالجمود ومفارقته للواقع ، وقد أعانه في ذلك مهارته في العرض والتأليف ، وتدوين الأخبار واستعراضها ، خاصة في كتابه الشهير (المحلى) ولولا هذا الكتاب لانقرض المذهب الظاهري، كما انقرضت مذاهب العديد من العلماء والمجتهدين الذين سبقوا ابن حزم بعقودٍ عديدة .

كانت محنة ابن حزم في اعتناقه هذا المذهب شديدة ، فقد كتبوا له الكتب معنفين مذهبه ، ووصفوه بأنه : مفتون أو جاهل أو متجاهل، بل لقد فعلوا أشد من ذلك، فألبوا الحكام عليه، وأوغلوا صدور العامة ضده، يقول ابن حزم واصفًا سلوك بعض فقهاء المالكية تجاهه: « وهم قوم كادونا من طريق المغالبة، وإثارة العامة، فأركس الله تعالى جهودهم.. فخيب الله سعيهم، وأبطل غيهم وله الشكر واصباً »[2] ، حتى أن بعض النقد قد تجاوز الحد، فوصفوه : « بقلة

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ١٦٨/١/١ .

(٢) الرسائل : ١١٥/٣ .

الدين وضعف العقل، وقلة التمييز والتحصيل»[1]، وكان عداء المالكية له من الأسباب التي أدت إلى حرق كتبه في إشبيلية .

ولم يتوقف جدل العلماء في الأندلس بعد وفاة ابن حزم، بل أصبح المذهب الظاهري في الأندلس مثار جدل، ربما أكثر مما كان في حياة ابن حزم حيث يصف المراكشي (ت٦٤٧هـ)، ما كان في عصره قائلاً : « وهو أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكراً في مجالس الرؤساء، وعلى ألسنة العلماء »[2].

(١) المصدر السابق : ٣/١٢٢ .

(٢) المعجب : ص ٧٦ .

المبحث الثاني
شيوخه في الحديث

تلقى ابن حزم العلم على يد عدد كبير من العلماء، لا يمكن أن ندرسهم دراسة مستفيضة، ولكننا سنشير إلى أسمائهم، مركزين على علماء الحديث منهم، لما له علاقة بكتبنا هذا ، إلا أن الأمر المهم الذي يجب أن ننبه عليه في هذا المقام، هو أن تلقي ابن حزم العلم عن طريق الشيوخ قد مر بالمراحل الآتية:

المرحلة الأولى: وهي التي تنتهي سنة ٣٩٩هـ، والشيوخ الذين نجد ذكرهم في المصادر، تغلب عليهم الصفة الرسمية، حيث كانوا يحضرون مجالس والده الوزير، فأخذ عنهم، والروايات في هذا المجال قليلة جدا، ويغلب عليها الجانب الأدبي، مثل روايته عن محمد بن عيسى الوراق، أو روايته عن الأصيلي – وسنأتي على ذكرها قريباً إن شاء الله – وهي لم تصل إلينا، فيما تبقى من مؤلفات ابن حزم لذلك نجهل موضوعها.

المرحلة الثانية: وهي التي تبدأ بعد سنة ٣٩٩هـ ونجده في هذه الفترة قد اعتنى اعتناء خاصا بالحديث الشريف وعلم الرجال ، ثم بعلم العقائد والأديان والعلوم الفلسفية بالدرجة الثانية، كما يوحي بذلك أخذه على يد ابن الجسور (ت٤٠١هـ)، وابن الفرضي (ت٤٠٣هـ)، كما بدأ مناظراته بصورة مبكرة مع

أهل الأديان، كما صرح هو بذلك في المناظرة التي جرت سنة ٤٠٤هـ، بينه وبين ابن الغنريلة اليهودي .

المرحلة الثالثة : وهي التي تبدأ بعد سـنة ٤١٠هـ، عندما تحول ابن حزم إلى الاهتمام بالفقه المالكي، فدرسـه على يد ابن دحون وعلى غيره من العلماء لمدة ثلاث سـنوات، وبعدها بدأ بالمناظرة، مع فقهاء المالكية، وليسـتقر على مذهبه الظاهري، وهذه المرحلة تمثل النضوج الفكري في حياة ابن حزم .

ونجد من المناسـب ذكر أهم هؤلاء الشـيوخ الذين أخذ عليهم علوم الحديث :

ابن الجسور :

علم مشـهور من علماء قرطبة ، جهبذ في علم الحديث والرجال ، كثير الرواية ، اسـمه : أحمد بن محمد بن سـعيد المعروف بابن الجسـور الأموي ، من أهل قرطبة ، وفيها ولد سنة ٣١٩هـ ، وأخذ عن علمائها منذ حداثة سنه ، إذ كان من المتقدمين في الفهم ، وأشـتهر بحفظه لعدد من دواوين الحديث ورواياتها في الأندلس ، مع معرفة واسعة بأسماء الرجال(١) .

---

(١) الصلة : ٢/٤٦٧ .

أخذ ابن الجسور العلم عن : قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن معاوية ، وأبي علي الحسن بن مسلمة صاحب النسائي ، ووهب بن مسرة ، وأحمد بن الفضل الدينوري تلميذ محمد بن جرير الطبري الداخل إلى الأندلس ، وغيرهم ، قال عنه ابن حزم وهو : « أول شيخ سمعت منه قبل الأربعمائة »[١]، وكأن ابن حزم في عبارته الأخيرة يشير إلى أن ابن الجسور هو أول شيخ أخذ عنه علم الحديث ، إذ لم يكن ابن حزم مهتماً بهذا العلم في شبابه ، وإنما عكف على دراسة الآداب والسياسة ، كما مرَّ معنا ، وكان ابن حزم يقصد شيخه ابن الجسور للأخذ على يديه في داره الواقعة ببلاط مغيث في الجانب الغربي من قرطبة ، على عادة طلبة العلم في ذلك الوقت[٢] .

وقد كان لابن الجسور مكانة مرموقة في علوم الحديث خاصة ، فأخذ عنه كبار علماء الأندلس منهم ابن عبد البر ، حتى قال عنه ابن بشكوال : « كان من أهل العلم ، ومتقدماً في الفهم ، يعقد الوثائق لمن يقصده ، وفي المحافل لمن أنذره ، حافظاً للحديث والرأي ، عارفاً بأسماء الرجال ، قديم الطلب »[٣] ،

---

(١) الجذوة : ١/١٧٢ .

(٢) الجذوة : ١/١٧٣ ؛ الصلة : ١/٥٤ .

(٣) الصلة :١/٥٤ .

وقال عنه الذهبي : « الإمام المحدث الفقيه ، كان خيراً صـالحاً شـاعراً ، عالي الإسناد واسع الرواية ، صدوقاً ، وهو أكبر شيخ لابن حزم »[1] .

أما مرويات ابن حزم التي سـنجدها عن ابن الجسـور فهي : موطأ الإمام مالك ، ومصـنف ابن أبي شـيبة ، وتهذيب الأحكام للطبري ، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام .

توفى ابن الجسـور بداره ببلاط مغيث ، عندما حلَّ الطاعون بقرطبة سـنة ٤٠١هـ[2] .

ابن وجه الجنة :

هو أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن مسـعود بن موسـى ، والمعروف بابن وجه الجنة ، ولد سـنة ٣٠٤هـ ، وسـمع من : قاسـم بن أصـبغ ، ومحمد بن أبي دليم، ومحمد بن معاوية ، وابن حزم الصـدفي، وأحمد بن مطرف ، قال عنه ابن بشـكوال : « وكان رجلاً صـالحاً أحد العدول عند ابن السـليم، وابن زرب.

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٤٨/١٧ .

(٢) الصلة : ٣٩٢/١ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١٠٧٧/٣ .

وعمَّرَ عمراً طويلاً ، حدث عنه جماعة من العلماء »[1] ، وقال الذهبي : « هو أعلى شيخ عنده »[2] ، يعني عند ابن حزم .

ويبدو أن ابن وجه الجنة كان معتنياً برواية مسند الإمام أحمد ، وسنجد في كتابنا هذا أن معظم مرويات ابن حزم كانت من خلاله ، كما كانت له رواية لسنن النسائي الكبرى[3] ، وقد أخذ ابن وجه الجنة مسند أحمد عن شيخه أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي الذي حدث به عن محمد بن عبد الملك بن أيمن قال : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : ثنا أبي[4] ، كانت وفاة ابن وجه الجنة سنة ٤٠٢هـ .

ابن الفرضي :

هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي ، من مشاهير علماء قرطبة ، ولد فيها سنة ٣٥١هـ ، وخرج من الأندلس سنة ٣٨٢ هـ، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة ، لتحصيل العلوم من مدن المشرق ، فمر

---

(١) الصلة : ٣/٩٥٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٧/٢٠٤ .

(٣) ينظر حديث رقم (٢١٩) من هذا الكتاب .

(٤) ينظر الأحاديث رقم : (١٥٢) ؛ (١٩٣) ، (١٩٥) ، (٦٣١) ، (٩٠٨) ، وغيرها.

بالقيروان، وهناك أخذ عن أبي محمد بن أبي زيد الفقيه ، وأبي جعفر أحمد بن دحون ، وأحمد بن نصر الدودي وغيرهم ، وفي مصر أخذ : عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل البنا ، وأبي بكر الخطيب ، وأبي الفتح بن سيبخت ، وأبي محمد الحسن بن إسماعيل الضراب وغيرهم ، ثم إلى مكة المكرمة حيث أدى فريضة الحج ، وجاور هناك ما شاء الله أن يجاور ، آخذاً عن : أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل المكي ، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن جهضم غيرهما ، ينهل من علوم الشرق عامة ، وعلماء الحرم خاصة ، مستغلاً مواسم الحج في التحصيل من علماء الأمصار الآخرين .

ثم عاد بعد ذلك إلى أرض الأندلس ، وبالتحديد إلى قرطبة ، إذا بدأ انتفاع أهل الأندلس بعلومه ، ولا سيما علم الحديث والرجال تدريساً وتأليفاً ، فصنف في هذا الباب كتابه الشهير (تاريخ علماء الأندلس) الذي وصفه ابن بشكوال : «إنه بلغ فيه الغاية في الحفل والاتقان »[1] ، كما ألف كتاباً آخر في أخبار شعراء الأندلس ، وله أيضاً كتاباً في المؤتلف والمختلف ، وله كتاب (مجمع الآداب في مجمع الأسماء والألقاب)[2] .

---

(١) الصلة : ١/٣٩٢ .

(٢) الحميدي ، الجذوة : ١/٣٩٧ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ١/٣٩٢ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٣/١٠٧٧ .

لقد احتل ابن الفرضي مكانة مرموقة بين علماء قرطبة ، فوجدنا طلاب العلم والمعرفة يلتفون حوله ليأخذوا من علومه ، ومن هؤلاء الحافظ ابن عبد البر ، الذي قال عنه : « كان فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم في الحديث، وعلم الرجال، وله تواليف حسان، وكان صاحبي ونظيري ، أخذت معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا ، كان بيني وبينه في السن نحو من خمس عشرة سنة، صحبته قديماً وحديثاً ، وكان حسن الصحبة والمعاشرة »[1] ، وقال مؤرخ الأندلس ابن حيان : « ولم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم والادب البارع »[2] .

وقد ذكر ابن حزم شيخه هذا وأثنى عليه كثيراً ، خاصة في علم الرجال ، إذ يقول في ذلك : « ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال، ولم يبلغ عبد الغني الحافظ المصري في ذلك إلا كتابين ، وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين، لا أعلم مثله في فنه البتة »[3] ، وعند دخول البربر إلى قرطبة في شوال سنة ٤٠٣هـ قتل ابن الفرضي في هذه الفتنة العمياء ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٣٩٢ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٧/ ١٧٧ .

(٣) رسائل ابن حزم : ٢/ ١٨٠ .

ولا نستطيع أن نتلمس أثر ابن الفرضي في كتابات ابن حزم بصورة مباشرة، ولكن من الراجح لدينا أن هناك معلومات كثيرة في علم الجرح والتعديل وأحوال الرجال كان قد أخذها عنه ، لما لابن الفرضي من مكانة مرموقة في علم الرجال ، ولأنه أختص به دون غيره من علماء الأندلس ، ولذا قد لا يستغرب الباحث من انتفاع ابن عبد البر بعلم شيخه هذا ، وكان يشير إليه صراحة في هذا الباب ، كما أخذ أيضاً معظم من كتب في هذا الجانب من أهل المشرق من أمثال: المزي ، والزيلعي وابن حجر[١] .

ابن الخراز :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني، يعرف بابن الخراز ، من أهل بجاية ، كانت له رحلة للمشرق ، روى فيها عن أبي محمد عمر بن شبوية المروزي ، وعن أبي محمد الحسن بن رشيق المصري ، وعن أبي بكر محمد بن صالح الأبهري الفقيه ، وعن أبي الفيض أحمد بن محمد المروزي، وتميم بن محمد القروي ، ويذكر الذهبي أنه دخل العراق ووصل إلى أقصى خراسان ، وكان معتنياً بالرواية : « وقدم بلاده بإسناد عال ، فحمل عنه ابن عبد

(١) ينظر كتابنا : جهود الحافظ ابن عبد البر في دراسة الصحابة : ص ٩٦ .

البر وأبو عمر بن سميق وأبو محمد بن حزم وآخرون »، ثم قال عنه : « وكان خيراً صالحاً متقبضاً يتكسب بالتجارة »[1] .

قال ابن الحذاء : « كان رجلاً صالحاً منقبضاً، داره ببجانة قرب دار ابن أبي الحصن ، كان معاشه من ثياب كل يبتاعها ببجانة ويقصرها ، ويحملها إلى قرطبة، فتباع له ، ويبتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة ، ويجلب كتبه فتقرأ عليه في خلال ذلك، وكان يرد قرطبة كل عام إلى أن وقعت الفتنة، فإذا سكنت الحال سكن داره ببجانة ، وأن خاف صار بالمرية ، فكان على ذلك متنقلاً إلى أن مات رحمه الله سنة إحدى عشرة وأربع مئة »[2] .

وكان من العلماء الأندلس القلائل الذين وصلوا إلى خراسان ، فأخذ عن المستملي روايته عن الفربري لصحيح البخاري ، وأخذ في مدينة مرو على محمد ابن عمرو بن شبويه المروزي[3] ، ثم عاد إلى الأندلس بإسناد عالٍ وبدأ يحدث بها ، وقال ابن بشكوال : « لم يكن فيما أدركنا أوثق منه ، ولا أورع ولا أحسن

(١) سير أعلام النبلاء : ١٧/ ٣٣٢ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة : ٢/ ٤٥٧ ؛ وينظر أيضاً الجذوة : ٢/ ٤٣٥ .

(٣) الصلة : ١/ ٢٠١ .

تمسكاً بالسنة » ، ولا عجب أن نجد معظم روايات ابن حزم لأحاديث البخاري عنه ، خاصة فيما استطعنا جمعه في كتابنا هذا من حديث ابن حزم[1] .

ابن بنوش :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيع بن صالح بن سلمة بن بنوش التميمي القرطبي ، ولد في النصف من شعبان سنة ٣٣٠هـ ، روى عن أبي بكر بن الأحمر القرشي، وأحمد بن مطرف ، وأحمد بن سعيد بن حزم ، وأبي عبد الله بن مفرج القاضي ، وأبي حفص الخولاني ، وأبي محمد بن عثمان الأسدي ، وأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، وأبي عبد الله بن الخراز، والقاضي منذر ابن سعيد، وأبي علي البغدادي وغيرهم.

ورحل إلى المشرق مع أبي عبد الله بن عابد سنة ٣٨١هـ فحج ، ولقي بمكة: أبا الفضل الهروي وغيره ، وكتب بمصر : عن أبي بكر بن إسماعيل المهندس ، ولقي بالقيروان: أبا محمد بن أبي زيد وغيره ، ثم انصرف إلى الأندلس فروى عنه

---

(١) ينظر على سبيل المثال الأحاديث رقم : (٢٢) ، (٤١) ، (٤٨) ، (٤٩) ، (٧٠) ، (٧٢) ، (٩٦) ، (١٠٣) ، (١١٤) ، (١١٧) ، (١١٨) ، (١٢٠) ، (١٢١) ، (١٤٧) ، (١٤٨) .. من كتابنا (سنن ابن حزم الظاهري) .

جماعة من علمائها ، قال عنه بان بشكوال : ((وكان ثقة ثبتاً، ديناً فاضلاً)) [1] ، وذكر الخولاني أنه : ((كان من أهل العلم والحديث مع العدالة ، وله عناية قديمة مشهورة معلومة ، لقي جماعة من الشيوخ الرواة للعلم وكتب عنهم وسمع منهم)) [2] .

أما من أخذ عنه من علماء الأندلس ، فحدث عنه : ابن حزم ، وابن عتاب الفقيه ، وأبو مروان الطبني ، وأبو عمر بن مهدي المقرئ ، وقد توفى ليوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة ٤١٥هـ.

ولابن بنوش مكانة خاصة عند ابن حزم ، وأكثر عنه الرواية خاصة : سنن النسائي الكبرى[3]، وسنن أبي داود[4] ، وبدرجة أقل : مسند الطيالسي[5] ،

---

(١) الصلة : ٤٠٢/٣ ؛ وينظر الجذوة : ٤١٣/٢ .

(٢) الصلة : ٤٠٢/٣ .

(٣) ينظر على سبيل المثال الأحاديث : رقم (٤٣) ، (٩٣) ، (٩٩) ، (١٠٠) ، (١٠٥) ، (١٣٦) .. الخ .

(٤) ينظر على سبيل المثال الأحاديث : رقم (١) ، (٣) ، (٣٥) ، (٤٤) ، (٥٧) ، (٦٧) ، (١٣١) .. الخ .

(٥) ينظر حديث رقم (٤٧٤) .

ومصنف ابن أبي شيبة[1] ، وصحيح البخاري (رواية ابن السكن)[2] ، والمنتقى لابن الجارود[3] .

هُمام بن أحمد :

هو أبو بكر هُمَام بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أكدر بن همام بن حكم بن سليمان ابن عبد الرحمن بن صالح الأطروش القرطبي ، ولد سنة ٣٥٧هـ ، وأخذ عن ابن مفرج ، وعباس بن أصبغ ، والأصيلي ، ويحيى بن مالك بن عائذ ، وعبد الله بن محمد بن علي الباجي وغيرهم.

ذكره أبو محمد ابن حزم ، واثنى عليه ثناء عطراً فقال : « كان واحد عصره في البلاغة، وفي سعة الرواية، ضابطاً لما قيد ، روى عن أبي محمد الباجي، وابن عائذ، وابن مفرج فأكثر، شديد الانقباض لا أدري أحداً سلم من الفتنة سلامته مع طول مدته فيها، فما شارك قط فيها بمحضر ولا بيد ولا بلسان، مع ذكائه وحزمه وقيامه بكل ما يتولى، حسن الخط قوياً على النسخ ، ينسخ من نهاره نيفاً

---

(١) ينظر حديث رقم (١٢)

(٢) ينظر على سبيل المثال الأحاديث : رقم (١٠١) ، (١٢٥) ، (٢٥٠) ، (٤٥٨) .

(٣) ينظر الأحاديث : رقم (١٠٧) ، (٥٠٣) .

وعشرين ورقة، حسن الشعر، حسن الخلق، فكه المحادثة »[1] ، وأدركته الوفاة بقرطبة في رجب من سنة ٤٢١هـ .

وروى عنه ابن حزم فأكثر عنه ، وأختص برواية : مصنف عبد الرزاق[2] وأكثر عنه في هذا الكتاب ، وروى عنه أيضاً صحيح البخاري (رواية المروزي)[3] ، موطأ مالك (رواية ابن يحيى بن بكير)[4] ، ومسند الحميدي[5].

ابن نبات :

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن سعيد بن نبات الأموي، روى عن أبي جعفر بن عون الله، وأبي عبد الله بن مفرج، وأبي زكرياء بن عائذ، وأبي عيسى الليثي، وأبي عبد الله بن الخراز القروي، وعباس بن أصبغ، وأبي محمد الباجي، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن قاسم الثغري ، وخلف بن قاسم،

---

(١) الصلة : ١/ ٢٥٠ ؛ وينظر الجذوة : ٣١٢/١ .

(٢) ينظر على سبيل المثال الأحاديث : رقم (١٠٤) ، (١٣٥) (١٣٨) ، (١٤٤) ، (١٥٣) ، (١٦٠) ، (١٧٢) ، (١٨٢) .. الخ .

(٣) ينظر الأحاديث : رقم (٨٦) ، (١٠٢٣) ، (١١٩٨) ، (١٣٧٠) ، وغيرها .

(٤) ينظر الأحاديث : رقم (٧٣٦) ، (٢٩٢٨) ، (٢٩٣٧) .

(٥) ينظر الأحاديث : رقم (٣٧٣) ، (٤١٧) ، (٦٠٧) ، (١٠٤٤) ، (١٥٦٧) ، وغيرها .

وأبي الحسن الأنطاكي وغيرهم ، وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم الجوهري صاحب المسند، وأبو الحسن القابسي وغيرهما.

قال ابن بشكوال : «كان معتنياً بالآثار، جامعاً للسنن، ثقة في روايته، ضابطاً لكتبه ، وكان شيخاً فاضلاً، صالحاً ديناً ورعاً منقبضاً عن الناس، مقبلاً على ما يعنيه ، وذكره أبو عمر ابن مهدي المقرئ في كتاب رجاله الذين لقيهم فقال : كان رجلاً صالحاً مسناً، كثير الرواية ثقة لما نقله؛ ضابطاً له، يؤدب بالقرآن ، وكانت عنايته بنقل العلم عظيمة ، ونسخ أكثر روايته بخطه »[(١)] .

قال ابن حبان أدركته الوفاة في منتصف المحرم سنة ٤٢٩هـ ، عن سن عالية لثلاث وتسعين سنة غير أيام ، وقد روى عنه ابن حزم فأكثر عنه[(٢)] .

ابن الصفار :

هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث بن محمد بن عبد الله القرطبي ، ويعرف بابن الصفار، كان من كبار العلماء بقرطبة، وفيها ولد سنة ٣٣٨هـ ، وأخذ العلم على يد علمائها بشكل خاص، ثم طلب العلم في مدن الأندلس ،

---

(١) الصلة : ٢/ ٧٦٠ ؛ وينظر الجذوة : ١/ ١٠٥ .

(٢) ينظر الأحاديث : رقم (٢٧) ، (١١١) ، (١٨٥) ، (١٨٩) ، (١٩٩) ، (٢٥٧) ، (٢٥٩) ، (٢٧٤) ، (٢٨٦) .. الخ .

وسمع الكثير من العلماء ، وكتب العلم عنهم ، ورغم أن المصادر لم تذكر له رحلة إلى المشرق، إلا أنه كانت له مراسلات مع عدد من علماء المشرق أشهرهم الدارقطني[1].

ونظراً لسعة علمه ، وتمكنه من الفقه ، فقد تولى منصب القضاء في مدينة بطليوس وأعمالها ، ثم صرف عنها ، وتولى الخطابة في جامع الزهراء[2] ، وكان من أهل الشورى فيها ، ثم ولي في عهد الحجابة العامرية أحكام القضاء والصلاة فيها ، وبعدها شغل المناصب نفسها من قضاء وخطبة في المسجد الجامع بقرطبة، وكان قد تقلد الوزارة ، إلا أنه صرف عنها ولزم داره وتفرغ للعلم ، وبقي الأمر على هذا الحال إلى أن جاء المعتد بالله فولاه مرة أخرى القضاء في قرطبة ، والخطبة والصلاة في مسجدها الجامع[3]، وقد بقي في هذا المنصب الرفيع حتى وافته سنة ٤٢٩هـ .

كان ابن الصفار من أعيان أهل العلم في قرطبة في بداية القرن الخامس الهجري ، ومن أبرز العلماء فيها ، وقد كثر انتفاع طلبة العلم بمعارفه التي برز

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ٣/ ٩٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، والزهراء : مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس ، اختطها عبد الرحمن ابن الناصر سنة ٣٢٥هـ ، والمسافة ما بين الزهراء وقرطية ستة أميال وخمسة أسداس ميل . معجم البلدان : ٣/ ١٦١ .

(٣) القاضي عياض ، ترتيب المدارك : ٢/ ٧٤٠ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٢/ ٩٨١ .

فيها ، فقد اشتهر بحفظ الحديث ومعرفته برجاله وعلله متمكناً من الفقه ، فضلاً عن صلاح ظاهر وورعٍ بيِّن ، قال الذهبي : « وكان بليغ الموعظة ، وافر العلم، ذا زهد وقنوع، وفضل وخشوع، قد أثر البكاء في عينيه، وعلى وجهه النور، وكان حفظة لأخبار الصالحين »[1] ، وقد حدث عنه: مكي بن أبي طالب، وأبو عبد الله بن عابد، وأبو عمرو الداني، وأبو عمر بن عبد البر، وابن حزم ، ومحمد بن عتاب ، وأبو الوليد الباجي ، وحاتم بن محمد ، وأبو عمر بن الحذاء، ومحمد بن فرج الطلاعي، وخلق كثير .

وقد أخذ عنه ابن حزم الحديث ورواه عنه[2] ، كما أخذ من طريقه عدد من المصنفات ، منها : مصنف ابن أبي شيبة[3] ، وسنن النسائي[4] ، ومشكل الآثار للطحاوي[5] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٥٦٩/١٧ .

(٢) ينظر على سبيل المثال حديث رقم : (٦٨) ، (٢٥٦) ، (٢٧٩) ، (٢٨٠) ، (٧٧٤) ، (٢٣٤٢) .. الخ .

(٣) ينظر على سبيل المثال حديث رقم : (١٥٩) ، (١٦٤) ، (١٧٤) ، (٢٢٢) ، (٢٦٠) ، (٣٠٢) ، (٧١٩) .. الخ .

(٤) ينظر على سبيل المثال حديث رقم : (١٨٨) ، (٢٢٠) ، (٢٥٨) ، (٢٩٨) ، (٣١٢) ، (٥٦٧) .. الخ .

(٥) ينظر حديث رقم : (٣٢٠٥) .

الطلمنكي :

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، المعافري الأندلسي الطلمنكي ، ولد سنة ٣٤٠هـ ، وحدث عن : أبي عيسى يحيى بن عبد الله الليثي، وأبي بكر الزبيدي ، وأبي الحسن بن بشر الانطاكي ، وأبي جعفر أحمد بن عون الله، وأبي عبد الله بن مفرج ، وأبي محمد الباجي ، وخلف بن محمد الخولاني، وعدة ، وكانت له رحلة إلى المشرق حدث فيها عن : أبي بكر أحمد بن محمد المهندس بمصر، ومحمد بن يحيى بن عمار بدمياط ، وأبي الطيب بن غلبون ، وأبي القاسم عبدالرحمن الجوهري، وأبي بكر محمد بن علي الأدفوي، والفقيه أبي محمد بن أبي زيد، وأبي جعفر أحمد بن رحمون، ويحيى بن الحسين المطلبي لقيه بالمدينة، وأبي الطاهر محمد بن محمد العجيفي، وأبي العلاء بن ماهان، وخلق كثير(١) .

وقد نال ثناء العلماء كثيراً لعلمه وورعه ، قال صاحبه أبو عمر بن مهدي : «كان نفعه الله من أهل الحديث والفقه ، كثير الرواية ، وافر الحظ من علم اللغة والعربية ، قائلاً للشعر النفيس في معاني الزهد وما شابهه، بليغاً في خطبه، كثير الخشوع »(٢) ، وقال ابن بشكوال : « كان سيفاً مجرداً على أهل الاهواء والبدع ،

---

(١) الحميدي ، الجذوة : ١/١٨١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك : ٤/٧٤٩ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٨٤ .

(٢) الصلة : ١/٨٥ .

قامعا لهم ، غيوراً على الشريعة ، شديداً في ذات الله ، أقرأ الناس محتسباً ، وأسمع الحديث ››[1] ، وقال الذهبي : ‹‹ كان من بحور العلم، وأول سماعه في سنة اثنتين وستين وثلاث مئة ... وأدخل الاندلس علماً جماً نافعاً ، وكان عجباً في حفظ علوم القرآن: قراءاته ولغته وإعرابه وأحكامه ومنسوخه ومعانيه ، صنف كتباً كثيرة في السنة ، يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر ››[2] . وكانت وفاته سنة ٤٢٩هـ .

حدث عنه خلق كثير منهم : ابن عبد البر وابن حزم وعبد الله بن محمد بن إسماعيل القاضي ، ونجد أن ابن حزم أخذ عنه : مسند البزار[3] ، وسنن سعيد ابن منصور[4] .

ابن نامي :

أبو محمد عبد الله بن يوسف بن نامي بن يوسف بن أبيض الرهوني القرطبي، مولده سنة ٣٤٨هـ ، وأخذ العلم عن أبي الحسن الأنطاكي، وأبي بكر عباس بن

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٥٦٧/١٧ .

(٣) ينظر الأحاديث رقم : (٧١) ، (٩٤) ، (٩٥) ، (١٣٢) ، (٢٢٥) ، وغيرها .

(٤) ينظر الأحاديث رقم : (٢١٨) ، (١١٨٧) ، (١١٩٧) ، (١٢٤١) ، (١٥٨١) ، وغيرها .

أصبغ، وأبي عبد الله محمد ابن خليفة، وخلف بن القاسم، وأحمد بن فتح الرسان، وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم ، قال ابن مهدي : « كان رجلاً صالحاً خيراً فاضلاً لا يقف بباب أحد، ولا يزول عن تأديبه بمسجد أبي خالد بالمدينة ، وكان مجوداً للقرآن، قديم الطلب، حسن الخلق شديد الانقباض، جيد العقل، خاشعاً كثير البكاء، متحرياً فيما يسمع محتفظاً به، ورعاً في دينه ، وقرأ القرآن على أبي محمد مكي بن أبي طالب »[١] .

وكانت وفاته في شهر رمضان سنة ٤٣٥هـ .

ولعل أشهر ما رواه عنه ابن حزم هو صحيح مسلم ، واعتمد كثيراً على روايته له ، حتى كان أكثر المصنفات وروداً في كتابنا هذا[٢] .

ابن دلهاث :

هو : أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن أنس بن فلذان بن عمران بن منيب ابن زغيبة بن قطبة العذري ، من أهل المرية ، رحل إلى المشرق مع أبويه سنة ٤٠٧هـ ، ووصلوا إلى بيت الله الحرام في شهر رمضان سنة ٤٠٨هـ،

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ٢/ ٤١٤ .

(٢) ينظر الأحاديث رقم : (١) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) ، (١٦) .. الخ .

وجاورا به أعواماً عديدة ، فسمع بالحجاز سماعاً كثيراً من أبي العباس الرازي ، وأبي الحسن بن جهضم ، وأبي بكر محمد بن نوح الأصبهاني، وعلى بن بندار القزويني، وصحب الشيخ الحافظ أبا ذرٍ عبد بن أحمد الهروي ، وسمع منه صحيح البخاري مرات ، وأخذ صحيح مسلم عن أبي العباس بن بندار الرازي، وسمع من جماعة غيرهم من المحدثين من أهل العراق وخرسان والشامات الواردين على مكة أهل الرواية والعلم[1] .

ولما عاد إلى الأندلس سنة ٤١٦ ، كثر أخذ العلماء عنه ، قال ابن بشكوال : ((سمع الناس منه كثيراً ، وحدث عنه من كبار العلماء أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد ابن حزم، وأبو الوليد الوقشي ، وطاهر بن مفوز، وأبو علي الغساني وجماعة من كبار شيوخنا ... وكان معتنياً بالعلم، وصحبة الشيوخ وله شعر حسن في الزهد ، وكان كثير الصدقة وفعل المعروف، قال لي شيخنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله : كان أبو العباس هذا من أهل العلم والورع والفضل والدين، واستشهد بالزلاقة ، مقبلاً غير مدبر ، سنة تسع وسبعين وأربع مائة))[2] .

---

(١) الحميدي ، الجذوة : ٢١٤/١ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ١٦٦/١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٥٦٧/١٨ .

(٢) الصلة : ١٦٧/١ . والزلاقة : هي المعركة الفاصلة التي جرت بين المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين قائد المرابطين والنصارى ، وانتهت بانتصار المسلمين ، وكانت=

روى عنه ابن حزم بالإضافة إلى عدد من الروايات المباشرة[1] ، عدد من المصنفات منها : التاريخ الكبير للبخاري[2] ، والتاريخ الصغير للبخاري أيضاً[3] ، سنن النسائي[4] ، وغيرها .

شيوخ آخرين :

لا يسع المجال لاستعراض شيوخ ابن حزم الآخرين إلا على سبيل الأجمال، وقد أخذ عنهم الحديث خاصة ، لأن موضوع كتابنا يصب في هذا الجانب ، وقد استعرضنا معظم هؤلاء في كتاب آخر لنا[5] :

=في رجب من ســنة ٤٧٩هـ ، ينظر ابن الأبار ، الحلة السيراء : ٢/٥٥ ؛ عنان ، دول الطوائف : ص ٣٠٩ .

(١) ينظر الأحاديث : (٥٤٢) ، (١٠٥٩) ، (١٠٨٦) ، (١٠٩٧) ، (١٢٣٥) ، (١٢٨٣) ، (١٢٩٦) ، وغيرها .

(٢) ينظر الأحاديث رقم : (٢٨) ، (٢٨٥) .

(٣) ينظر الأحاديث رقم : (٣١٥٩) ، (٣١٦٠) .

(٤) ينظر حديث رقم : (١٠٨٧) .

(٥) ينظر ابن حزم الأندلسي ، ص ٦٨ وما بعدها .

- **أبو سعيد خلف مولى الحاجب جعفر الفتى الجعفري** (ت ٤٢٥هـ)[١] : كان من أهل العلم والقرآن معتنياً بالرواية والأدب ، وكانت له طريق إلى سنن النسائي ، حدث بها ابن حزم قليلاً[٢] .
- **أحمد بن القاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياني** (ت ٤٣٠هـ)[٣] : وهو محدث من عائلة اشتهرت بعلم الحديث والرواية ، أخذ من طريقه مصنف جده قاسم بن أصبغ[٤] .
- **هشام بن سعيد بن فتحون القيسي الملقب بالخير** (ت بعد ٤٣٠هـ)[٥] : قال عنه الحميدي : « كان محدثاً جليلاً » ، رحل إلى المشرق وسمع هناك ، ثم عاد إلى الأندلس فأخذ الناس عنه ، منهم ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما ،وقد روى عنه ابن حزم مسند الطيالسي[٦] .

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ١/٢٦٦ .

(٢) ينظر الأحاديث : (٣١٨٨) ، (٣١٩٣) .

(٣) الحميدي ، الجذوة : ١/٢٢١ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ١/٨٨ ؛ الضبي ، البغية : ١/٢٤٩ .

(٤) ينظر الأحاديث رقم : (١٥١) ، (٢٠٨) ، (٧٣٥) ، (١٢١٢) ، وغيرها .

(٥) الحميدي ، الجذوة : ٢/٥٨٢ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٣/٩٣٥ .

(٦) ينظر الأحاديث رقم : (٢٢١) ، (٣٤١) ، (١٦٠٢) ، (١٦٣٥) ، (١٦٦٢) ، وغيرها .

- **المهلب بن أبي صفرة بن أسيد الأسدي (ت ٤٣٥هـ)**[١] : قال عنه ابن بشكوال : « من أهل العلم والمعرفة والذكاء والفهم، من أهل التفنن في العلوم والعناية الكاملة بها، وله كتابٌ في شرح البخاري أخذه الناس عنه »، روى عند ابن حزم الجامع لابن وهب[٢] .
- **أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)**[٣] **:** حافظ المغرب ، صاحب الكتب المشهور (التمهيد) و (الاستذكار) ، قال عنه ابن بشكوال : « إمام عصره وواحد دهره » ، وهو من أقران ابن حزم ، ولكنه طلب العلم قبله ، فأدرك من الشيوخ ما لم يدرك ، وكان ابن حزم يستعين بمروياته في بعض الأحيان[٤] .

---

(١) الحميدي ، الجذوة : ٥٦٣/٢ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٩٠١/٣ .

(٢) ينظر الأحاديث رقم : (٧٣) ، (٧٤) ، (٧٥) ، (٣١٥٢) ، (٣١٦٥) .

(٣) الحميدي ، الجذوة : ٥٨٦/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك : ٨٠٨/٤ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٩٧٣/٣ ؛ وينظر كتابنا : جهود الحافظ ابن عبد البر .

(٤) ينظر الأحاديث رقم : (١٠١٦) ، (١٣٦٦) ، (١٥٨٠) ، (١٧١٢) ، (٢٣٥٢) ، وغيرها .

المبحث الثالث
أثره وآثاره

مكانته العلمية :

يعد ابن حزم من أعظم العلماء الذين أنجبتهم الأندلس، بالرغم ما قيل عنه، وبالرغم من المحن التي مر بها، يقول عنه تلميذه صاعد الأندلسي: « كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار »[1] وقال عنه تلميذه الآخر، وهو الحميدي : « كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننا بعلوم جمة»[2] ، ويواسي ابن حيان زميله ابن حزم، بالرغم مما كان بينهم من سوء اختلاف حول موقف كل واحد منهم من الخلافة الأندلسية : « ويا لبدائع هذا الحبر علي بن حزم وغرره ، ما أوضحها على كثرة الدافنين لها، والطامسين لمحاسنها، وعلى ذلك فليس ببعد فيما أضيع منه، فأزهد الناس في عالم أهله،

---

(١) طبقات الأمم : ص ٧٦ ، الصلة : ٢/٦٠٥ .

(٢) الجذوة : ٢/٤٨٩ .

وقبله أردى العلماء تبريزهم على من يقصــر عنهم، والحسد داء لا دواء له »[1]، ويبعث له أحد أصحابه، وهو ابن الحوات، رسالة يعترف فيها: « ولولا خوف المشـغبين وما دهينا به من رؤوس الجاهلين، لكتبت أقوالك، ومذهبك، وبثثتها في العالم، وناديت عليها كما ينادي على السلع »[2].

وربما تكون ثقافة ابن حزم الواسـعة من الصـعوبات التي تعترض الباحث في اســتقصــاء ثقافته، ومكانته العلمية، فقد تشـعبت العلوم التي خصــلها، وتعددت المعارف التي اهتم بها، حتى أن الذهبي بدأ ترجمته لابن حزم بهذا التعداد المثير لمعارفه : « ابن حزم الأوحد ، البحر ، ذو الفنون والمعارف ، الفقيه ، الحافظ ، المتكلم ، الأديب »[3]؛ وأكثر ما يهمنا في مقدمتنا هذه هي مكانته الحديثية ، ذلك أنه تبوأ فيها مكانة مرموقة ، وأثنى عليه جمع من العلماء ، لما حواه قلمه من علم ، وذهنه من حفظ ، مع إحاطة كبيرة بالسنن والآثار .

قال أبو حيان عنه : « حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونســب، وما يتعلق بأذيال الادب، مع المشــاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ١/١/١٧٢ .

(٢) ابن حزم الرسائل : ٣/١٨٧ ، وابن الحوات : هو عبد الرحمن بن أحمد بن خلف ، كان فقيهاً يتكلم في الحديث والاعتقادات بالحجة ، قوي النظر ، وفاته سـنة ٤٤٨هـ . ينظر ترجمته في الجذوة : ١/١٦١ ؛ الصلة : ٢/٤٩٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ١٨/١٨٤ .

والفلسفة ... ومال أولا إلى النظر على رأي الشافعي، وناضل عن مذهبه حتى وسم به، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ، ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر، فنقحه، وجادل عنه، وثبت عليه إلى أن مات، وكان يحمل علمه هذا، ويجادل عنه من خالفه، على استرسال في طباعه، ومذل بأسراره ... وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده، من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة، الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم، ويفقههم، ويدارسهم، حتى كمل مصنفاته وقر بعير، لم يعد أكثرها باديته لزهد الفقهاء فيها، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية، ومزقت علانية، وأكثر معايبه – زعموا عند المنصف – جهله بسياسة العلم التي هي أعوص »[1] .

وقال اليسع الغافقي : « أما محفوظ أبي محمد فبحر عجاج ، وماء ثجاج ، يخرج من بحره ، مرجان الحكم ، وينبت بثجاجه ألفاف النعم ، في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين وأربى على أهل كل دين ، وألف الملل والنحل .. »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان : أبو محمد بن حزم ، في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره ، وأعلم بالحديث وأكثر تعظيما له ولأهله من غيره

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ١٦٨/١/١ .

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٢٢٨/٣ .

... وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر ، ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال ، والتعظيم لدعائم الإسلام ، ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره ، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح ، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء ، وتعظيم أئمة الأمة وعوامها للسنة والحديث وأهله في الأصول والفروع من الأقوال والأعمال ، أكثر من أن يذكر هنا »[1] .

وقال الذهبي : « ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ، ومعرفته به ، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل .. »[2] .

وقال عنه الحافظ ابن حجر : « الفقيه الحافظ الظاهري ، صاحب التصانيف وكان واسع الحفظ جداً ... »[3] .

وتعدت ثقافة ابن حزم العلوم الإسلامية، إلى علوم الديانات الأخرى، فهو يعد من العلماء الرواد في الأندلس، الذين دخلوا في مجالات مع أهل الكتاب، ويكفي أن نحيل القارئ إلى الجزئين، الأول والثاني من كتابه (الفصل) ليرى

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤/١٩-٢٠ .

(٢) السير : ١٨/٢٠٢ .

(٣) لسان الميزان : ٤/١٩٨ .

مدى ثقافته في هذا الجانب، ولذلك لا نعجب إن وجدنا ترجمته في مختلف كتب التراجم التخصصية، فنجده مع حفاظ الحديث، ومع الفلاسفة، ونجده مع الشعراء والأدباء، ومع اللغويين والنحاة، وصدق المقري عندما قال فيه: « هو نسيج وحده. . .»[1]، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد الذهبي يعرض علينا مؤلفات عديدة لابن حزم في الميدان الطبي، مثل رسالته في الطب النبوي، وكتاب في الأدوية المفردة وغيرها.

ومن هنا نجد أن ثقافة ابن حزم، قد شملت معظم المعارف والفنون، فهو واحد من الموسوعيين الذين عرفهم العالم الإسلامي عموماً، والأندلس خصوصا، فبقي أثره واضحاً في الفكر العربي الإسلامي، وربما أشد بريقاً من مؤسس المذهب الظاهري نفسه، وعندما يمر المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ) على قبر ابن حزم يقف أمامه، ويقول: « عجباً لهذا الموضع يخرج منه هذا العالم» ، ثم استطرد قائلاً: « كل العلماء عِيَال على ابن حزم »[2].

(١) نفح الطيب: ٧٨/٢ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة: ٤١٩/٤ .

علاقته بمعاصريه:

كانت لابن حزم علاقات متشعبة وواسعة مع رجال عصره من علماء وفقهاء وساسة وأدباء، ومن الصعب تقصي جميع تلك الوشائج، إلا أننا سنحاول أن نعرض أهمها والتي لها مساس بموضوع البحث.

فمن أهم هذه العلاقات والتي طغى عليها الجانب العلمي، علاقته بأبي الوليد الباجي، والتي اشتهرت بسبب المناظرات التي جرت بين الفقيهين، وبالرغم من ذلك، وما اشتهر عن ابن حزم من حدة اللسان، فإنه لم يطعن بأبي الوليد الباجي، ولم يتجاوز الأدب معه باعتراف ابن حيان له، وإنما أنصفه، ووضعه في مكانه اللائق به ، وكان يثني عليه ، ويقول فيه خيراً [1]، وكان ابن حزم قد التقى بمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) ، وكانت بين الرجلين مناظرات، نقل لنا ابن حزم جوانب منها[2]، أما علاقته بابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) فقد تعدت العلاقة العلمية، إلى رابطة حميمة ونجده في بعض الأحيان ينعته بـ (صاحبنا) ، وقد نقل عنه بعض آرائه وكان من ضمن شيوخه ، وقد مرت الإشارة إليه ، وسيأتي عدد من الروايات التي أخذها عنه ابن حزم

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ٩٦/١/١ .

(٢) ابن حزم ، الإحكام : ٥٢٤/١ ، ومكي بن أبي طالب ، من مشاهير القراء في الأندلس مع حظ وافر في الأدب . ترجمته في : ترتيب المدارك : ٧٣٧/٤ .

مباشرة ، كما أنه صـــحبه في إقامته في إشـــبيلية[1]، ولم نجد في مؤلفات ابن حزم التي وصلت إلينا ذكر للمــؤرخ الأندلــسي ابن حيان، ولكننا نعلم أن الرجلين كانا يعيشـــان في قرطبة وأن عمر بن حيان (ت٤٧٤هـ) ابن المؤرخ الأندلسيـــ، كان تلميذاً لابن حزم[2].

ولم تقتصر عــلاقات ابن حــزم على علـــماء الأندلس، بل كانت له عدد من المراســلات العلمية مع عدد من علماء الأمصـــار، منهم الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي (ت٤٠٩هـ) ، الذي سكن مصر. وعلي بن إبراهيم التبريزي الذي وفد على الأندلس من المشرق سنة ٤٢١هـ، وسالم بن أحمد بن فتح ، وغيرهم[3].

أما بالنســـبة لعلاقاته الأخرى، فعلاقته بابن شُـــهيد (ت٤٢٦هـ) ، كانت علاقة صــداقة وزمالة سـياسـية، فقد شـارك ابن حزم في وزارة المسـتظهر سـنة ٤١٤هـ، وله كتب الرســـالة في نفي الخلق عن القرآن ، بالإضـــافة إلى هذا، فقد كانت هناك مراسلات بين الرجلين وعلاقة وطيدة[4] ، وكتب ابن حزم رسالته في (فضــائل الأندلس) إلى محمد بن عبد الله الفهري، صــاحب البونت، وأطال

(١) ابن حزم ، الرسائل : ١/٤٤٧ .

(٢) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٦/٣٧ .

(٣) ينظر كتابنا : ابن حزم الأندلسي : ص ٨٨ – ٨٩ .

(٤) نفح الطيب : ٢/٧٨ .

الثناء فيها عليه وعلى أجداده[1]، بينما يخاطب في بداية رسالته هذه أبا بكر محمد بن إسحاق المهلبي، وكان صديقه أيضاً، يرافقه في بعض رحلاته بين مدن الأندلس ، والظاهر أن الرسالة وجهت إلى الشخصين معاً، وكتب رسالته: (البيان عن حقيقة الإيمان) لصديقه ابن الحوات ، الذي كان من أشد المعجبين بابن حزم، وكانت له علاقة حميمة أيضاً مع قاضي الجماعة في قرطبة، ابن الحصار (ت٤٢٢هـ)[2]، وإليه كتب قصيدته البائية، التي يفخر بها بنفسه وعلومه:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

وقد عبر بعض أصدقاء ابن حزم والمعجبين به عن عواطفهم تجاهه بالشعر الذي حمل أرفع درجات الثناء، فهذا خلف بن هارون ، يمدحه بقوله :

يخوض إلى المجد والمكرمات بحار الخطوب وأهوالها
وإن ذكرت للعلا غاية ترقى إليها وأهوى لها[3]

وأرسل إليه محمد بن يحيى الطبني أيضاً شعراً يمدحه فيه:

فلو أن القلوب تستطيع سيرا سار قلبي إليك سير الحثيث

---

(١) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٢٣٩/٦ .

(٢) الجذوة : ٤٢٧/٢ .

(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس : ص ٢٨٠ .

ولو أن الديار ينهضــها الشــو   ق أتـاك البلاط كـالمسـتغيـث[1]

ومن الناظر ليعجب من تركيز الباحثين ، قديماً وحديثاً ، على محنة ابن حزم مع معاصريه ، ويغفل لتلك العلاقات العلمية الطيبة التي نشــأت مع مجتمعه ، وهذا يوضــح لنا بجلاء أن ابن حزم الظاهري مثلما أثار حفيظة بعض الخصــوم عليه ، فقد نال أعجاب الكثيرين من معاصريه ، فأثنوا عليه خيراً ، وذكروه في أشعارهم مدحاً وثناء ، وشهدوا له بالفضل والعلم على معظم أقرانه .

تلاميذه:

إن المتتبع لطلاب ابن حزم لا يجد العدد اللائق بمكانة ابن حزم العلمية ، خاصــة وأنه ظاهرة فكرية فريدة ، ليس في تاريخ الأندلس فحســب ، وإنما في تاريخ علماء المسلمين عامة ، وقد نرجع ذلك إلى أسباب عدة ، منها :

١. كان المذهب السائد في الأندلس حتى عصر ابن حزم ، هو المذهب المالكي ، وكان لدى أتباع هذا المذهب شيءٌ من التعصــب تجاه المذاهب الأخرى ، لذا شنت حمــلات ضد كل من يأتــي بشيء يخالــف مذهب مالك أو يحاول إيجاد مذهب فقهي آخر ، وليس أدل على ذلك من الحملة التي تعرض لها

(١) الحميدي ، الجذوة : ١/٦٢ .

ابن حزم نفســه بســبب ذلك ، حتى وصــل الأمر إلى إحراق كتبه بمدينة إشبيلية .

٢. خوف بعض الفقهاء من (شــغب العامة) الذين اعتادوا على المذهب المالكي ، وأصــبح بمثابة المذهب الرســمي للدولة أو الدويلات فيما بعد ، وعليه سارت أحكام القضاء والفتاوى وغيرها من الأحكام الفقهية ، وقد صرح ابن الحوات بذلك في رســالته لابن حزم قائلاً : « ولولا خوف المشــغبين وما دهينا به من رؤوس الجاهلين، لكتبت أقوالك، ومذهبك، وبثثتها في العالم، وناديت عليها كما ينادي على السلع » .

٣. وربما يعود شيء من هذا النفور من علم ابن حزم إلى الصــفات الذاتية في شــخصــية هذا الإمام الظاهري ، فهو يعترف في نفســه بأنه كان : « كِلفاً في الرضا ، مفرطاً في الغضب »[١] ، وهذا هو الشيء الذي ولَّد فيه قلة الصبر ، فبقي ســمةً معروفة له ، وقد تكون هذه الصــفة هي التي نفَّرت طلبة العلم عنه ، فاشتهر بها ، والتصقت به ، حتى قال أبو العباس ابن العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين »[٢] .

---

(١) الرسائل : ١/ ٣٥٤ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٨/ ١٩٩ .

٤. ردَّ الإمام ابن حزم الإجازة العلمية ، ولم يجز الرواية بها فقال : « وأما الإجازة التي يستعملها الناس ، فباطل ، ولا يجوز لأحد أن يجيز الكذب ، ومن قال لآخر : اروِ عني جميع روايتي ، دون أن يخبره بها ديوانا ديواناً ، وإسناداً إسناداً ، فقد أباح له الكذب ؛ لأنه إذا قال : حدثني فلان ، أو عن فلان ، فهو كاذب أو مدلس بلا شك ؛ لأنه لم يخبره بشيء »[(١)] ، وهذا الأمر جعل مجال الأخذ عن ابن حزم ضيقاً مقارنة بالشيوخ الآخرين الذين كانوا يعملون بالإجازة .

٥. كان ابن حزم قد درس في مقتبل عمره علوم الفلسفة والمنطق ، ولم تكن هذه العلم بالمحمودة عند طلبة العلم من أهل الأثر ، قال الذهبي : « فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك ، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق، ويقدمه على العلوم ، فتألمت له ، فإنه رأس في علوم الاسلام، متبحر في النقل، عديم النظير على يبس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول »[(٢)] .

ومع ذلك فقد بقي ابن حزم نابضاً في صدور عدد من الطلاب الذين أخذوه عنه ورووه ، ومن هؤلاء :

---

(١) الإحكام : ١٤٧/٢ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٨٦/١٨ .

الطبني :

هو أبو مروان عبد الملك بن زيادة بن علي بن حسين بن محمد بن أسد التميمي الحماني الطبني ثم القرطبي ، قال الحميدي : « من أهل بيت جلالة ورئاسة ، ومن أهل الحديث والأدب وإمام في اللغة ، شاعر وله رواية وسماع بالأندلس » ، وقال ابن بشكوال : « من بيت علم ونباهة وأدب وخير وصلاح » ، وقال أبو علي الغساني : « وكانت له عناية تامة في تقييد العلم والحديث ، وبرع في علم الأدب والشعر » ، كانت وفاته مقتولاً سنة ٤٥٧هـ[١] .

الحميدي :

التلميذ الأشهر لابن حزم ، اسمه محمد بن أبي نصر – فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي ، أصله من قرطبة ، كنت عائلته في جزيرة ميورقة ، وهناك ولد ، قال الحميدي : « ولدت قبل العشرين وأربعمائة ، وكنت أحمل السماع على الكتف سنة خمس وعشرين .. وأصل أبي من قرطبة من محلة يقال لها الرصافة ، وسكن أبي الجزيرة ، وولدت أنا بها والجزيرة شرقي الأندلس ... »[٢] ، وقد بدأ بالسماع على يد أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي (وفاته في حدود ٤٤٠هـ)

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ٥٢٨/٢ ؛ الضبي ، البغية : ٤٩٢/٢ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق : ٧٩/٥٥ .

فأخذ عنه رسالة أبي زيد ، ومختصر المدونة ، ثم أخذ عن كبار علماء الأندلس يومئذ منهم : ابن حزم الذي أختص به واشتهر بصحبته ، وابن عبد البر وأبو العباس العذري ، وغيرهم[1] .

ثم بدأ سنة ٤٤٨هـ رحلته في طلب العلم نحو المشرق ، ماراً بعدد من حواضر العام الإسلامي ، منها : أفريقية ومصر ومكة والشام ، ثم استقر به المقام ببغداد ، قال ابن عساكر : « طاف قطعة من البلاد وافرة ، وسمع بها ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأقام بها ، وكان يذهب مذهب داود ، وله يدٌ في العربية والأدب » ، وفي بغداد علا نجمه ، وأشتهر بين أهلها ، على كثرة النجوم في سمائها ، وقال الشيخ أبو طاهر إبراهيم ابن أحمد بن محمد السلماسي : « وكان قد لقي الأئمة بالعراق وخراسان وأذربيجان ،لم تر عيناي مثل أبي عبد الله الحميدي رضي الله عنه ، في فضله ونبله ، وغزارة علمه ، ونزاهة نفسه وحرصه على نشر العلم ، وبثه في أهله ، وكان ورعاً تقياً إماماً في علم الحديث وعلله ، ومعرفة متونه ورواته ، محققاً في علم التحقيق والأصول ، على مذهب أصحاب الحديث ، بموافقة الكتاب والسنة ، فصيح العبارة ، نظيف الإشارة ، متبحراً في علم الأدب والعربية والشعر والرسائل ، له التصانيف الكبيرة منها تجريد الصحيحين للبخاري ومسلم والجمع بينهما ، وتاريخ الأندلس ، وجمل تاريخ الإسلام ،

---

(١) الجذوة : ٥٨٨/٢ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٨١٨/٣ ؛ الذهبي ، التذكرة : ١٢١٨/٤ .

وكتاب (فيمن ادعى الإيمان لأهل الإيمان) ، وكتاب (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) ، وكتاب (تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل) ، كتاب (مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء) ، (وما جاء من النصوص والآثار في حفظ الجار) ، وكتاب (ذم النميمة) ، وغير ذلك ، وله شعر حسن رصين في المواعظ والأمثال ، وفضل العلم والعلماء))[١] .

ومن هذه التصانيف التي تدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه كتابه المشهور (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس) ، الذي كتبه خاصة لأهل المشرق وبالتماس منهم ، ومعظم المعلومات الواردة فيها هي عن شيخه ابن حزم الظاهري ، حتى يكاد أن يشعر القارئ وكأن الحميدي ينقل من كتاب آخر لابن حزم مشابه له ، وموافق له في المضمون .

ولم يقدر الله تعالى للحميدي العودة إلى الأندلس ، بل بقي ببغداد حتى وفاته، وكانت في شهر ذي الحجة سنة ٤٨٨هـ ، وأوصى أن يدفن قرب بشر الحافي الزاهد ، فدفن في غير ما أوصى ، ثم نقل جثمانه ، وفقاً لوصيته ، ودفن بجوار بشر الحافي رحمه الله تعالى[٢] .

---

(١) تاريخ دمشق : ٥٥/ ٨٠ .

(٢) المصدر السابق ، وينظر كتابنا : جهود الحافظ ابن عبد البر في دراسة الصحابة : ص ١٠٦ .

تلاميذ آخرين :

وهناك عدد آخر من التلاميذ الذين ورد ذكرهم في كتب التراجم ممن أخذ على يد الحافظ ابن عبد البر ، منهم :

- **أحمد بن عمر بن أنس العذري** (ت٤٧٨هـ)، وكان معتنياً بالحديث والرواية ، حافظاً متقناً ، ومرَّ ذكره في شيوخ ابن حزم ، ولكن رحلته إلى المشرق وأخذه الصحيحين هناك ، وعلو سنده ، جعل الكبار يأخذون عنه ، منهم ابن حزم وابن عبد البر وغيرهم .
- **حسين بن عبد الرحيم بن نام البهراني** (لم أقف على وفاته)، كذا ذكرته المصادر ، لم يكن له نشاط ظاهر في العلم ، بحيث أهمله صاحب الصلة فأستدرك عليه[1].
- **سالم بن أحمد بن فتح** (ت٤٦١هـ) ، حاله كحال الذي سبقه[2] .
- **شريح بن محمد بن شريح الرعيني** (ت٥٣٩هـ) ، أخذ عنه إجازة، وكان ولد سنة ٤٥١هـ ، وهذه من القضايا المشكلة التي تواجه الباحث في توثيق تلامذة ابن حزم ، ويذكر الخطيب البغدادي وغيره أن هناك نوعاً من الإجازة السائدة في ذلك الوقت تتمثل بإجازة الأطفال ، وغالباً ما يكونوا

---

(١) ابن الأبار ، التكملة : ١/ ٢٧٤ .

(٢) ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة : ٦/ ١٨٨ .

من أبناء العلماء ، وممن يتوســـم فيهم النجابة والذكاء ، ويقول الخطيب : ((وعلى هذا رأينا كافة شـــيوخنا يجيزون للأطفال الغيب منهم من غير أن يســـألوا عن مبلغ أســـنانهم وحال تمييزهم، ولم نرهم أجازوا لمن لم يكن مولوداً في الحال، ولو فعله يصح لمقتضى القياس))[1]، ولا نستبعد أن يكون شريح قد أخذ بهذه الطريقة عن ابن حزم ، وقد يكون هذا هو التفســـير الوحيد الذي يمكن أن نميل إليه نظراً لصغر سنه ، وإلى هذا أشار الذهبي عندما قال : ((وعاينت في ســـفينة تواليف لابن حزم بخط الســـلفي وقد كتب: كتب إلي أبو الحســـن شريح بن محمد قال: كتب إلينا أبو محمد بن حزم))[2] .

- **صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي** (ت٤٦٢هـ) ، صاحب كتاب (طبقات الأمم) ، قال عنه ابن بشـكوال : ((كان متحرياً في أموره ، وأختار القضـاء باليمين مع الشاهد الواحد في الحقيق ، وبالشـهادة على الخط وقضى بذلك أيام نظره))[3] .

---

(١) الكفاية : ص ٣٢٥ .

(٢) السير أعلام النبلاء : ١٤٣/٢٠ .

(٣) ابن بشكوال ، الصلة : ١/ ٣٧٠ ؛ الضبي ، البغية : ٤١٧/٢ .

- **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي** (ت٤٩٣هـ) ، صـحب ابن حزم سـبع سـنوات، فسـمع منه جميع مصـنفاته، إلا المجلد الأخير من كتاب (الفصل) وأجازه ابن حزم أكثر من مرة[١] .

مؤلفاته:

امتازت مؤلفات ابن حزم ، بكثرتها وتنوع مادتها، حيث ألف في مختلف العلوم والمعارف ، عدها ابنه الفضـل فبلغت نحو من : « أربعمائة مجلد تشـمل على قريب من ثمانين ألـف ورقة »، ويعلق صـاعد الأندلسي على هذا العـدد، بقوله: « وهذا شيء ما علمناه من أحد كان في دولة الإسـلام قبله، إلا لأبي جعفر بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفاً »[٢]، ولكن لم يصل إلينا من هذه المؤلفات ما تمنيناه ، ولاشـك أن الظروف التي مر بها ابن حزم، على تداخلاتها الكثيرة، كانت من الأسـباب المسـاعدة على ذلك، وقد أحرقت كتبه علانية في إشبيلية كما ذكرنا، وعبر ابن حزم عن ذلك أصدق تعبير حين قال:

فإن تحـرقوا القرطـاس لا تضمنه القرطـاس بل هـو في
يسـير معي حيث اسـتقلت ركائبي وينزل أن أنزل ويدفن في قبري

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة : ٤٣٨/٢ ؛ الحموي ، معجم الأدباء : ٢٤٢/١٢ .

(٢) طبقات الأمم : ص ٧٧ ؛ ابن بشكوال ، الصلة : ٦٠٥/٢ .

دعـوني مـن إحـراق رق وكـاغـد   وقولوا بعلم كي يعلم النـــــــاس

وقد اهتم المؤرخون القدامى بمؤلفات ابن حزم، وضــمنوا ترجمته قوائم عديدة تدل على ســعة هذه المؤلفات، واختلاف موضــوعاتها، ومن أهم هذه القوائم على الإطلاق، قائمة الذهبي، التي أوردها في ترجمة ابن حزم في كتاب (ســير أعلام النبلاء) حيث احتوت على ســبعٍ وســبعين مؤلفاً ما بين كتاب ورســالة ، وتعد هذه القائمة المرجــع الرئيسي لكثير من الباحثين للتعرف على نتاج ابن حزم ، وتأتي بالمرتبة الثانية، من حيث الأهمية، قائمة الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) والتي احتوت على ســبع وخمســين عنوانا، وردت إلينا في كتابه : (البلغة في تراجم أئمة اللغة) ، ولم يلتفت لهذا المصــدر كثير من الباحثين المعاصرين، رغم أن فيه معلومات مهمة تتعلق بهذا الجانب ، وأورد لنا ابن حيان، أسماء تسعة عناوين، أعادها الحموي في (معجم الأدباء) نقلاً عنه ، بينما احتوت قائمة الحميدي ، وابن خلكان، على ثمانية مؤلفات، والملاحظ على قوائم هؤلاء المؤرخين، تكرار بعض المؤلفات مع تغيير في نص عنوانها، مما يولد نوعا من الخلط وعدم التفريق بينها، كما أن عدم وضــوح بعض العناوين، يخلق تساؤلات عن مضمون هذه المؤلفات ومحتواها .

(١) ابن بسام ، الذخيرة : ١٧٦/١/١ .

وفي دراستنا عن ابن حــزم التي نشــرت قبل سنوات[1] ، وبالرجوع إلى المصــادر القديمة خاصــة ، أحصــينا (١٦٤) عنواناً ، لم يصــلنا لنا منها إلا الدواوين الكبيرة من أمثال المحلى) و (الإحكام) و (الفصل) و (جمهرة أنساب العرب) ، وبعض الرســائل المتناثرة التي جمعها د. إحســان عباس في أربعة مجلدات، وهذا يوضــح الأثر الكبير الذي تركه ابن حزم الظاهري في التراث الإسلامي ، رحمه الله تعالى ، وعفا عما ذرب به لسانه ، إنه سميع مجيب .

وفاته :

تُوفِّي الإمام ابن حزم الظاهري ســنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم والتأليف والمناظرة، قضاها في خدمة علوم الشريعة والدفاع عن منهجه الظاهري القائم على التمسـك بظاهر النصـوص والاحتجاج بالكتاب والسـنة والإجماع المتيقَّن. وكـانـت وفـاتـه في قريـة «منـت ليشـم» بـالقرب من ولبـة بالأندلس، بعد أن اعتزل كثيرًا من صــخب الحياة الســياســية والفكرية التي خاض غمارها في شبابه ، وقد خلَّف تراثًا علميًا ضـخمًا تنوَّعت موضـوعاته بين الحديث والفقه والأصـول والعقيدة والتاريخ والأدب، حتى عُدَّ من أكثر علماء الإســلام تصــنيفًا وتأثيرًا في الفكر الإســلامي والأندلسي. ورغم ما لقيه من

(١) ابن حزم الأندلسي : ص ٩٥ وما بعدها .

معارضــةٍ شــديدة من بعض معاصريه، فإن كتبه بقيت شــاهدةً على قوة حفظه، وسـعة اطلاعه، وجرأته العلمية، ودقة اسـتدلاله، حتى أصبح أحد أبرز الأئمة الذين تركوا أثرًا خالدًا في الدراسات الحديثية والأصولية.

الفصل الثاني

مصادر الحديث وقواعده

المبحث الأول
مروياته الحديثية

المصنفات الحديثية :

لم يكن أهل الأندلس يقدمون كتاباً من كتب الحديث على موطأ الإمام مالك، وهذا مشهور بينهم ، وكان لابن حزم رأي آخر خالف فيه مالكية الأندلس ، على كثرة مخالفته لهم ، فكتب يقول : « بل أولى الكتب بالتعظيم : صحيحا البخاري ومسلم ، و صحيح ابن السكن ، و منتقى ابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ، ثم بعدها كتاب أبي داود ، وكتاب النسائي، و المصنف لقاسم بن أصبغ مصنف أبي جعفر الطحاوي ، ومسند البزار، ومسند ابني أبي شيبة ، ومسند أحمد بن حنبل ، ومسند إسحاق ، ومسند الطيالسي، ومسند الحسن بن سفيان، ومسند ابن سنجر، ومسند عبد الله بن محمد المسندي، ومسند يعقوب بن شيبة، ومسند علي بن المديني، و مسند ابن أبي غرزة، وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفاً ، ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره ، مثل : مصنف عبد الرزاق، و مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف بقي بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي، وكتاب ابن المنذر الاكبر والاصغر، ثم مصنف حماد بن سلمة، وموطأ مالك بن أنس، وموطأ ابن أبي ذئب، وموطأ

ابن وهب، ومصنف وكيع، ومصنف محمد بن يوسف الفريابي، ومصنف سعيد بن منصور، ومسائل أحمد بن حنبل، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور » .

قال الذهبي : ما أنصف ابن حزم، بل رتبة (الموطأ) أن يذكر تلو (الصحيحين) مع سنن أبي داود والنسائي ، لكنه تأدب ، وقدم المسندات النبوية الصرف، وإن للموطأ لوقعاً في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء[1] .

ومن هنا يمكن القول : أن عناية ابن حزم بهذه المصنفات تؤكد على عنايته الشديدة بالسنة، وموازنته بين المصنفات التي حوت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الذي جعل ابن حزم يتميز عن غيره من علماء الأندلس بعلم الأثر ، اللّهم إذا استثنيا صاحبه وشيخه ابن عبد البر ، وكان يذكر ذلك حتى في شعره ، فيقول :

أنائمٌ أنتَ عن كتبِ الحديثِ وما ... أتى عن المصطفى فيها من الدينِ
كمسلمٍ والبخاري اللذين هُمـا ... شدَّا عُرى الدينِ في نَقْلٍ وتبيينِ
أولى بأجرٍ وتعظيمٍ ومحمـدةٍ ... من كُلِّ قولٍ أتى من رَأيِ سحنونِ
يا مَنْ هَدى بهما اجْعَلْني كمِثلهِما ... في نَصْرِ دِينكَ مَحضاً غير مَفتونِ[2]

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٨/٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق : ١٨/٢٠٩ .

موطأ مالك :

لم ينل أي كتاب في الأندلس بعد القرآن الكريم ، ما نال كتاب موطأ الإمام مالك ، فقد كانت الرحلة من الأندلس إلى المشرق له خاصة ، وقد رحل عدد كبير من علماء الأندلس من أجل أخذ هذا الكتاب على يد مصنفه ، وبعد عودتهم نقلوا معهم بالإضافة إلى الموطأ ، فقه الإمام مالك ، وأصبح لهذا المذهب مكانة خاصة في أرض الأندلس لا يضاهيها أي مذهب آخر ، وتذكر المصادر الأندلسية أن أول من أدخل هذا الكتاب إلى الأندلس هو غزي بن قيس (ت ١٩٩هـ) الذي كانت له رحلة إلى المدينة ، ثم عاد إلى الأندلس حافظاً لموطأ مالك على ما يقول ابن الفرضي[١] .

ويذكر في هذا الباب اسم ابن شبطون : وهو زياد بن عبد الرحمن اللخمي (وفاته في حدود ٢٠٤هـ) وكان له دور في إدخال موطأ مالك إلى الأندلس ، ومع ذلك فلم تبق من هذا الجيل الأول إلا هذه الإشارات التي تذكر[٢] ، ويبقى الفضل الكبير في انتشار الموطأ في الأندلس لعالمها الشهير يحيى بن يحيى الليثي ، وسنحاول في الورقات القادمة استعراض أهم روايات الموطأ في الأندلس ، مع ذكر شيوخ ابن حزم في ذلك :

---

(١) تاريخ علماء الأندلس : ١/ ٣٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ١/ ١٥٥ .

١. رواية **يحيى بن يحيى الليثي** (٢٣٤هـ) : ارتحل إلى المشرق في أواخر أيام الإمام مالك ، فسمع منه الموطأ سوى أبواب من الاعتكاف ، شك في سماعها منه ، فرواها عن زياد شبطون ، قال الذهبي : « ولازم ابن وهب، وابن القاسم، ثم حج، ورجع إلى المدينة ليزداد من مالك، فوجده في مرض الموت، فأقام إلى أن توفاه الله، وشهد جنازته، ورجع إلى قرطبة بعلم جم، وتصدر للاشتغال، وازدحموا عليه، وبعد صيته، وانتفعوا بعلمه وهديه وسمته »[1] ، قال ابن عبد البر : « قدم يحيى بن يحيى الاندلس بعلم كثير، فعادت فتيا الاندلس بعد عيسى بن دينار الفقيه عليه، وانتهى السلطان والعامة إلى رأيه، وكان فقيها حسن الرأي»[2] ، وقد روى عن يحيى بن يحيى الليثي عدد كبير من علماء الأندلس ، إلا أن أشهر من روى عنه هم ثلاثة علماء :

- محمد بن وضاح المرواني (ت ٢٨٧هـ)[3] : أشهر رواة الموطأ عن يحيى بن يحيى الليثي ، قال ابن الفرضي : كان عالما بالحديث، بصيراً بطرقه وعلله،

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٠/ ٥٢٠ .

(٢) الانتقاء : ص ٥٩ .

(٣) تاريخ علماء الأندلس : ٢/ ١٥ ؛ الجذوة : ص ٩٣ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٣/ ٤٤٥ .

كثير الحكاية عن العباد، ورعاً زاهداً ، صبوراً على نشر العلم، متعففاً، نفع الله أهل الأندلس به ، وأخذ عند الموطأ عدد كبير منهم[1] :

أ. محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت ٣٣٨هـ)[2] : كان يحدث براوية ابن وضاح للموطأ ، قال عنه الحميدي : « ثقة جليل القدر » ، أخذ عنه ابن الجسور الموطأ ، وعنه ابن حزم ، وكثيراً ما أعتمدها في مروياته[3] .

- عبيد الله بن يحيى الليثي القرطبي (ت ٢٩٨هـ)[4] : روى عن أبيه (الموطأ) وتفقه به ، قال ابن الفرضي ولم يسمع من غيره في الأندلس ، ثم قال : « وكان كريماً عاقلاً عظيم الجاه والمال ، مقدماً في الشورى ، منفرداً برئاسة البلد » ، وكانت له رحلة إلى المشرق فحجَّ ، ثم عاد إلى الأندلس ، وأخذ الناس عنه بعد وفاة أبيه ، أما من أشهر من روى عنه الموطأ :

---

(١) ينظر فهرسة ابن خير : ص ٦٨ – ٦٧ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس : ١/ ١٥ .

(٣) ينظر على سبيل المثال الأحاديث : رقم (١٢٤) ، (١٩١) ، (٢٤٧) ، (٣٥٢) ، (٣٥٨) ، (٣٧١) ، (٣٩١) .. الخ .

(٤) ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : ١/ ٢٥٠ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٣/ ٥٣١ .

أ. أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي (ت ٣٥٠هـ)[١] : سمع الموطأ من عبيد الله بن يحيى ، وكانت له عناية خاصة بالآثار وجمع الأحاديث ، كانت له رحلة إلى المشرق ، فسمع عدد كبير ثم عاد إلى الأندلس فكان له شأن عظيم فيها ، وعنه أخذ ابن الجسور رواية الموطأ ، وحدث عنه ابن حزم عن الأخير فيما بعد[٢] .

ب. يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي (ت ٣٦٧)[٣] : سمع الموطأ من عم أبيه عبيد الله بن يحيى ، وكان قاضياً ببجانة وإلبيرة ، وولي أحكام الرد أيام أخوه قاضياً بقرطبة ، وعمَّرَ إلى أن كان آخر من حدث عن عبيد الله وانفرد بالرواية عنه ، قال ابن الفرضي : اختلفت إليه في سماع حديث الموطأ سنة ٣٦٦هـ ، وعنه أخذ عدد من علماء الأندلس[٤] .

٢. رواية **يحيى بن عبد الله بن بكير** (ت ٢٣١هـ)[٥] : قال عنه الذهبي : ((الإمام المحدث الحافظ الصدوق أبو زكريا القرشي المخزومي)) ، قال بقي بن مخلد : ((

---

(١) ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : تاريخ علماء الأندلس: ١/ ٤٤ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٦/ ١٠٤ .

(٢) ينظر حديث رقم (١١٣) .

(٣) تاريخ علماء الأندلس : ١/ ٢٠٥ ؛ بغية الملتمس : ص ٤٣٨ .

(٤) ابن خير ، الفهرسة : ص ٦٩ .

(٥) ترتيب المدارك : ١/ ٥٢٨ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٠/ ٦١٢ .

إن يحيى بن بكير سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة »، ومن أخذ عنه من أهل الأندلس :

- إبراهيم بن محمد القرطبي المعروف بابن باز (ت ٢٩٤هـ)[١] : قال ابن الفرضي : «كان فقيهاً عالماً زاهداً ورعاً ، رحل فسمع من يحيى بن بكير .. وكان مقدماً في الفُتيا ، حدث عنه الناس » ، وكان مختصاً برواية ابن بكير للموطأ ، وأخذ عنه الأندلسيين هذه الرواية ، وأشهر من أختص به : محمد ابن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي (ت ٣٣٠هـ)[٢] : أخذ الموطأ عن ابن باز ، وكانت له رحلة إلى المشرق وصل فيها إلى بغداد ماراً بمصر والشام والحجاز ، قال ابن الفرضي : « كان فقيهاً عالماً، حافظاً للمسَائِل والأقضية، نبيلاً في الرأي، مُشاوراً في الأحكام، صدراً فيمن يُستفتى، وَولى الصلاة ، وكان: ذا جَلالة، وكان: ضَابِطاً لكتبه، ثقة في روايته » ، وممن أخذ عنه الموطأ: عباس بن أصبغ (ت ٣٨٦هـ)[٣] ، وعن الأخير رواه حمام بن أحمد، وعنه ابن حزم[٤] .

---

(١) تاريخ علماء الأندلس : ١/ ٤ ؛ بغية الملتمس : ١/ ١٧٩ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس : ١/ ١٥٧ ؛ بغية الملتمس : ١/ ٨٧ .

(٣) قال ابن الفرضي : « كان شيخاً حليماً ضابطاً لما كتب ، طاهراً عفيفاً قرأت عليه كثيراً » ، تاريخ علماء الأندلس : ١/ ١١٠ .

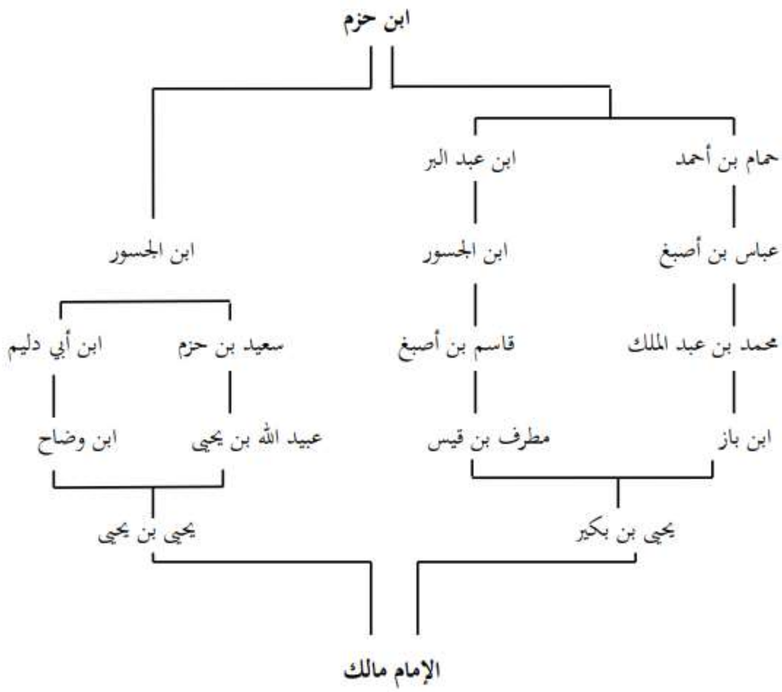
(٤) ينظر الأحاديث رقم : (٧٣٦) ، (٢٩٢٨) .

- مطرف بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن قيس القرطبي (ت ٢٨٢هـ) [١] : كانت له رحلة إلى مصر فسمع الموطأ من يحيى بن بكير ، ثم عاد إلى الأندلس فحدث به ، قال عنه ابن الفرضي : ((كان شيخاً نبيلاً ، بصيراً بالنحو واللغة والشعر، وكان شاعراً ، سمع منه الناس كثيراً ، وكان ثقة صالحاً)) ، وأشهر من رواه عنه هو : قاسم بن أصبغ (٣٤٠هـ) ، وكان رفيقاً لمحمد بن عبد الملك في رحلته إلى المشرق ، وأخذ الموطأ عن مطرف بن قيس ، وعاش أكثر من صاحبه ، فأخذ عنه الناس وألحق الصغار بالكبار ، وممن أخذ عنه ابن الجسور ، وعن الأخير ابن عبد البر وابن حزم ، إلا أن الأخير لا يروي هذه الطريق إلا من خلال ابن عبد البر ، كأنه لم يأخذها عن ابن الجسور مباشرة[٢] .

---

(١) تاريخ علماء الأندلس : ١/١٨٩ .

(٢) ينظر الأحاديث رقم : (١٠١٨) ، (٢٩٢٩) ، (٢٩٣٧) .


ابن حزم
حمام بن أحمد
ابن عبد البر
عباس بن أصبغ
ابن الجسور
ابن الجسور
محمد بن عبد الملك
قاسم بن أصبغ
سعيد بن حزم
ابن أبي دليم
ابن باز
مطرف بن قيس
عبيد الله بن يحيى
ابن وضاح
يحيى بن بكير
يحيى بن يحيى
الإمام مالك

الجامع الصحيح للبخاري :

كانت أشهر الروايات التي دخلت إلى الأندلس هي رواية الفربري ، ولكي تتضح الصورة أمام القارئ لا بد من تعريف مقتضب برواة الصحيح في الأندلس عامة ، وعند ابن حزم خاصة :

محمد بن يوسف الفربري (ت ٣٢٠هـ) :

هو أبو عبد محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفَرِبَريُّ[(١)] ، نسبته إلى (فِرَبر) وهي من قرى بخارى[(٢)] ، ولد الفربري سنة ٢٣١هـ ، وسمع من علي بن خشرم لما قدم فربر مرابطاً ، أما سماعه لكتاب (الجامع الصحيح) للبخاري ، فقد سمع منه الكتاب مرتين ، الأولى سنة ٢٤٨هـ ، والثانية سنة ٢٥٢هـ[(٣)] ، وعنه روى الصحيح جماعة من العلماء ، وتعد طريقه من أوثق الطرق واتقنها لهذا المصنف ، توفي الفربري ٢٠ شوال سنة ٣٢٠هـ .

أما من روى عنه (الجامع الصحيح) فكثيرون ، لكن يمكن استعراض ابرز تلاميذ الفربري ، والذين وصلت رواياتهم إلى ابن حزم ، ودونها في كتبه :

---

(١) ترجمته في الأنساب : ٢٦٠/٩ ؛ وفيات الأعيان : ٢٩٠/٤ ؛ معجم البلدان : ٢٤٦/٤ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٠/١٥ .

(٢) معجم البلدان : ٣١٨/٣ .

(٣) السمعاني ، الأنساب : ٢٦١/٩ ؛ سير أعلام النبلاء : ١١/١٥ .

١ . **المستملي** : أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود البلخي المُسْتملي (ت ٣٩٧هـ) [١] ، قال عنه أبو ذر الهروي : كان من الثقات المتقنين ببلخ طوَّ وسمع الكثير ، وخرَّج لنفسه معجماً ، قال الذهبي : « ولم تبلغني أخباره مفصله » ، حدث عنه : أبو ذر أحمد بن محمد الهروي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الأندلسي المعروف بابن الخراز ، وكان الأخير قد أخذ عنه الصحيح بخراسان سنة ٣٧٥هـ [٢] ، وأخذها عنه ابن حزم ، واعتمد عليها كثيراً في مصنفاته وكتبه [٣] .

٢ . **أبو زيد المروزي** : محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي الفاشاني (ت ٣٧١هـ) [٤] ، قال عنه الذهبي : « الشيخ الإمام المفتي القدوة الزاهد ، شيخ الشافعية » ، روى صحيح البخاري عن الفربري سنة ٣١٨هـ ، قال الخطيب البغدادي : « حدث أبو زيد ببغداد ، ثم جاور مكة ، وحدَّث

---

(١) ترجمته في : سير أعلام النبلاء : ٤٩٢/١٦ ؛ شذرات الذهب : ٨٦/٣ .

(٢) ينظر حديث رقم (٣٣٣٠) من هذا الكتاب .

(٣) ينظر على سبيل المثال الأحاديث رقم : (٢٢) ، (٤١) ، (٤٨) ، (٤٩) ، (٧٠) ، (٧٢) ، (٩٦) .. الخ .

(٤) ترجمته في : تاريخ بغداد : ٣١٤/١ ؛ تبيين كذب المفترى عليه : ص ١٨٨ ؛ سير أعلام النبلاء : ٣١٣/١٦ ؛ وفيات الأعيان : ٢٠٨/٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى : ٧١/٣ ؛ البداية والنهاية : ٢٩٩/١١ .

هنالك بـ (الصحيح) ، وهو أجلُّ من رواه »[1]، حدث عنه : الحاكم النيسابوري ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو الحسن الدارقطني ، وعبد الوهاب الميداني ، والهيثم بن أحمد الدمشقي الصباغ ، وأبو الحسن بن السمسار ، وأبو بكر البرقاني ، ومحمد بن أحمد المحاملي ، وأبو محمد عبد الله ابن إبراهيم الأصيلي ، وعن الأخير أخذه حُمام بن أحمد وعنه ابن حزم[2] ، وهناك طريق لم يتم التصريح بها أخذها ابن حزم عن المهلب بن أبي صفرة ، عن أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي المالكي (ت ٤٠٣هـ)[3] ، عن المروزي[4] .

٣. **ابن السكن** : أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البزاز البغدادي ثم المصري (ت ٣٥٣هـ)[5] ، ولد سنة ٢٩٤هـ ، قال الذهبي : « نزل مصر

---

(١) تاريخ بغداد : ١/٣١٤ .

(٢) ينظر الأحاديث رقم : (٨٦) ، (١٠٢٣) ، (١١٩٨) ، (١٣٧٠) ، (١٣٧١) ، (٢٩٠٩) ، وغيرها .

(٣) ترجمته في : ترتيب المدارك : ٤/٦١٦ ؛ وفيات الأعيان : ٣/٣٢٠ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٧/١٥٨ ؛ الديباج المذهب : ٢/٩٢ .

(٤) ينظر كتابنا : ابن حزم الأندلسي : ص ٧٦ .

(٥) ترجمته في : تذكرة الحفاظ : ٣/٩٣٧ ؛ العبر : ٢/٢٩٧ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٦/١١٧ ؛ طبقات الحفاظ : ص ٣٧٨ ؛ شذرات الذهب : ٣/١٢ .

بعد أن أكثر الترحال ما بين النهرين : نهر جيحون ، ونهر النيل » ، ثم قال : « جمع وصــنف وجرَّح وعدَّل ، وصــحح وعلَّل ، ولم نرَ تواليفه ، هي عند المغاربة »[(١)] ، حدث عن عدد كبير من أهل المشرــق ، وكان من ضــمنهم محمد بن يوسف الفربري ، أخذ عنه (الصحيح) بخراسان ، فكان أول من جلــب الصحيح إلى مصر ، حــدث عنه : أبو سليمان بن زبر ، وأبو عبد الله بن مندة ، وعبد الغني الأزدي ، وعلي بن محمد الدقاق ، وعبد الرحمن بن عمر النحاس ، وعبد الله بن محمد بن أســد القرطبي ، وأبو جعفر بن عون الله ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مفرّج ، وعن الأخير أخذ (الصحيح) عبد الله بن ربيع ، وعنه ابن حزم[(٢)] .

٤. **ابن شَبُّويه** : أبو علي محمد بن عمر بن شبويه الشبوي المروزي (وفاته بعد سنة ٣٧٨هـ)[(٣)] قال الأسنوي : « كان فقيهاً فاضلاً من أهل مرو »، وقال الذهبي : «الشيخ الثقة الفاضل ... كان من كبار مشايخ الصوفية »، وقد ســمع (الصــحيح) من الفربري ســنة ٣١٦هـ ، وحدث به في مدينة مرو ،

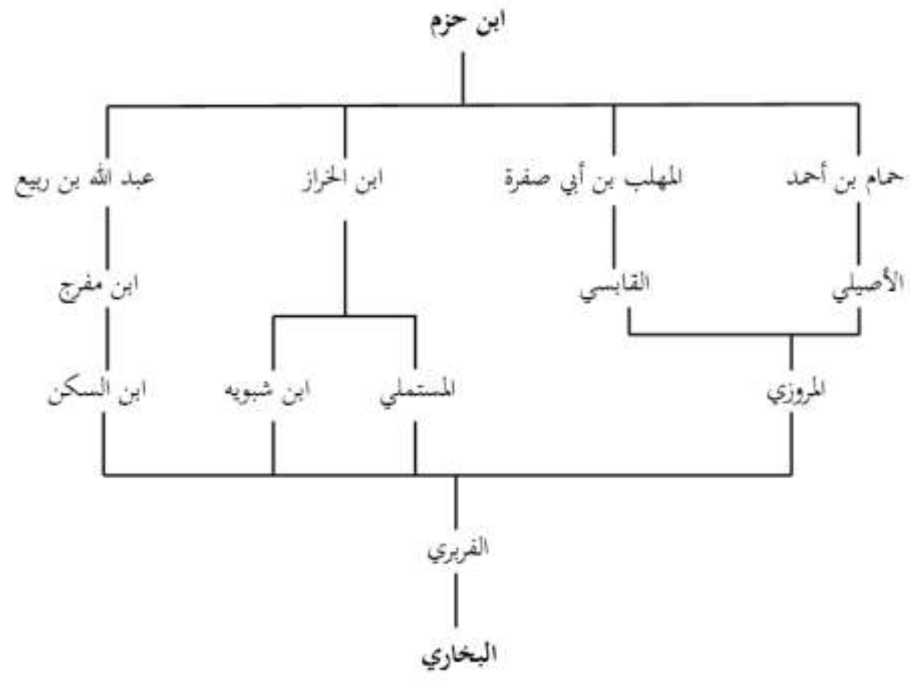
---

(١) سير أعلام البنلاء : ١١٧/١٦ .

(٢) ينظر الأحاديث رقم : (١٠١) ، (١٢٥) ، (٢٥٠) ، (٤٥٨) ، وغيرها .

(٣) ترجمته في : الأنســاب : ٢٨٥/٧ ؛ ســير أعلام النبلاء : ٤٢٣/١٦ ؛ طبقات الشــافعية للأسنوي : ص ١٩ .

وكان آخر تحديث له سنة ٣٧٨هـ ، قال أبو بكر السمعاني : لما توفى الشبوي سمع الناس (الصحيح) من الكُشميهني ، روى عنه من أهل الأندلس ابن الخراز سنة ٣٧٥هـ[1] .



(١) ينظر حديث رقم (٣٣٣٠) من هذا الكتاب .

صحيح مسلم :

إن المتتبع لكتب التراجم يرى أن ليس هناك أسانيد متصلة برواية صحيح مسلم إلا من طريقين ، الأولى طريق أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه ، والطريق الأخرى عن أبي محمد أحمد بن علي القلانسي عن مسلم ، والطريق الثانية أختص بها أهل المغرب والأندلس دون أهل المشرق[١]:

١. أما أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري (ت ٣٠٨هـ)[٢] ، فقد كان من أئمة الحديث فقد لازم الإمام مسلم ، وسمع منه بنيسابور ، وقال الذهبي : « سمع (الصحيح) من مسلم بفوت ، رواه وجادة وهو في الحج ، وفي الوصايا وفي الإمارة ، وذلك محرر مقيد في النسخ »[٣] ، وقد أخذ عنه محمد بن عيسى الجُلُودي النيسابوري (ت ٣٦٨هـ)[٤] ، وأختص برواية صحيح مسلم ، وكان للجلوي تلامذة كثر ، لعل أشهرهم : عمر بن

---

(١) ابن الصلاح ، صيانة صحيح مسلم : ص ١٠٦ .

(٢) ترجمته في : صيانة صحيح مسلم : ص ١٠٦ ؛ سير أعلام النبلاء : ٣١١/١٤ ؛ البداية والنهاية : ١٣١/١١ ؛ شذرات الذهب : ٢٥٢/٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٥٦٢/١٢ . والوجادة : هي أن يأخذ الحديث في صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة ، وقوله بفوت : أي فاته سماع في بعضه .

(٤) ترجمته في : الأنساب : ٢٨٣/٣ ؛ صيانة صحيح مسلم : ص ١٠٧ ؛ سير أعلام النبلاء : ٣٠١/١٦ ؛ البداية والنهاية : ٢٩٤/١١ ؛ شذرات الذهب : ٨٧/٣ .

محمد السجزي (ت نحو ٤٠٤هـ)[١]، وأحمد بن الحسن ابن بندار الرازي (ت بعد سنة ٤٠٩هـ)[٢]، أما الأول فقد حدث عنه عبد الله بن سعيد الشنتجالي (ت ٤٣٦هـ)[٣] ، ثم أخذ عنه الصحيح سالم بن أحمد بن فتح الذي كاتبه لابن حزم[٤] ، وأخذ عن ابن بندار أحمد بن عمر العذري المعروف بابن دلهاث ، وعنه ابن حزم ، وتعد هذه الرواية أعلى طريق عند ابن حزم لصحيح مسلم[٥] .

---

(١) ترجمته في : تاريخ بغداد : ١١/ ٢٧٠ .

(٢) ترجمته في : سير أعلام النبلاء : ٢٩٩/١٧ .

(٣) ابن فرحون ، الديباج المذهب : ٣٨٦/١ ، ونسبته إلى شنتجالة : في طرف كورة تدمير بالأندلس مما يلي الجوف.

(٤) لم أقف على ترجمه لسالم هذا ، وربما يكون هو ابن أحمد بن فتح التاجر ، أما فيما يخص رواية ابن حزم عنه ينظر الأحاديث رقم : (١٧٧) ، (٢٠٤) .

(٥) لم أقف على رواية يصرح فيها ابن حزم أنه أخذ صحيح مسلم عنه ، ولكن أشار ابن خير في فهرسته (ص ٨٥) إلى أنه أخذ صحيح مسلم في مكة سنة ٤٠٩هـ على ابن بندار ، ثم لما عاد إلى الأندلس حدث به ، وينظر كتابنا ابن حزم الأندلس : ص ٦٨ .

٢. أما أحمد بن علي بن الحسين بن المغيرة بن عبد الرحمن القلانسي (لم أقف على وفاته)[1] ، والمعلومات الواردة عنه في الكتب قليلة جداً ، وليس هناك ذكر لتاريخ سماعه صحيح مسلم من مؤلفه ، قال ابن الصلاح : « وقعت بروايته عن مسلم ثم عن المغاربة ، ولم أجد له ذكراً » ، وحدث عنه بالصحيح أحمد بن محمد بن يحيى الأشقر الفقيه الشافعي (وفاته في حدود ٣٦٧هـ)[2] ، وعنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن عيسى بن ماهان (ت ٣٨٧هـ)[3]، وعن الأخير نقله أحمد بن فتح التاجر (ت ٤٠٣هـ) إلى الأندلس وأخذه الناس عنه ، منهم عبد الله بن يوسف بن نامي شيخ ابن حزم فيه[4] .

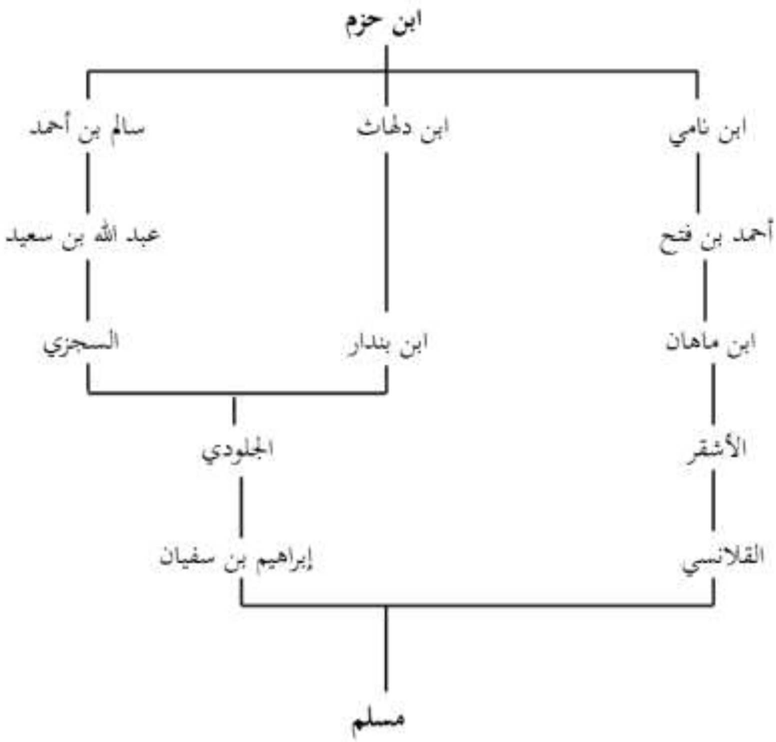
---

(١) لم ترد له ترجمة مفصلة في كتب التراجم ، ولكن ذكره ابن الصلاح : صيانة صحيح مسلم : ١/١١١ ؛ فهرسة ابن خير : ص ٨٧ .

(٢) لم ترد له ترجمة مفصلة في كتب التراجم ، ولكن ذكره ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد : ١/٢٣٣ ؛ ابن ماكولا ، إكمال الإكمال : ١/٩٥ ؛ فهرسة ابن خير : ص ٨٧ .

(٣) ترجمته في : صيانة صحيح مسلم : ١/١١٢ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٦/٥٣٥ ؛ شذرات الذهب : ٣/١٢٨.

(٤) وأكثر رواية ابن حزم لصحيح مسلم من هذه الطريق ، ينظر على سبيل المثال الأحاديث رقم : (١) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) .. الخ .


ابن حزم
سالم بن أحمد
ابن دلهاث
ابن نامي
عبد الله بن سعيد
أحمد بن فتح
السجزي
ابن بندار
ابن ماهان
الجلودي
الأشقر
إبراهيم بن سفيان
القلانسي
مسلم

سنن أبي داود :

للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) ، وقد دخلت الأندلس منذ وقت مبكر ، وقد أخذها ابن حزم من طريقين :

١. **ابن الأعرابي** : أحمد بن محمد بن زياد البصري (ت ٣٤٠هـ)[١] : نزيل الحرم، قال الذهبي : « حمل السنن عن أبي داود ، وله في غضون الكتاب زيادات على المتن والسند » ، وممن أدخل هذه الرواية إلى الأندلس : القاضي محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن السليم (ت ٣٦٧هـ)[٢] الذي أخذها عن ابن الأعرابي بمكة ، ورواها عبد الله بن ربيع المعروف بابن بنوش شيخ ابن حزم الذي رواها عنه[٣] .

٢. **ابن داسة** : محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق البصري (ت ٣٤٦)[٤]: قال الذهبي : « وهو آخر من حدث بالسنن كاملاً » ، ورحل إليه من

---

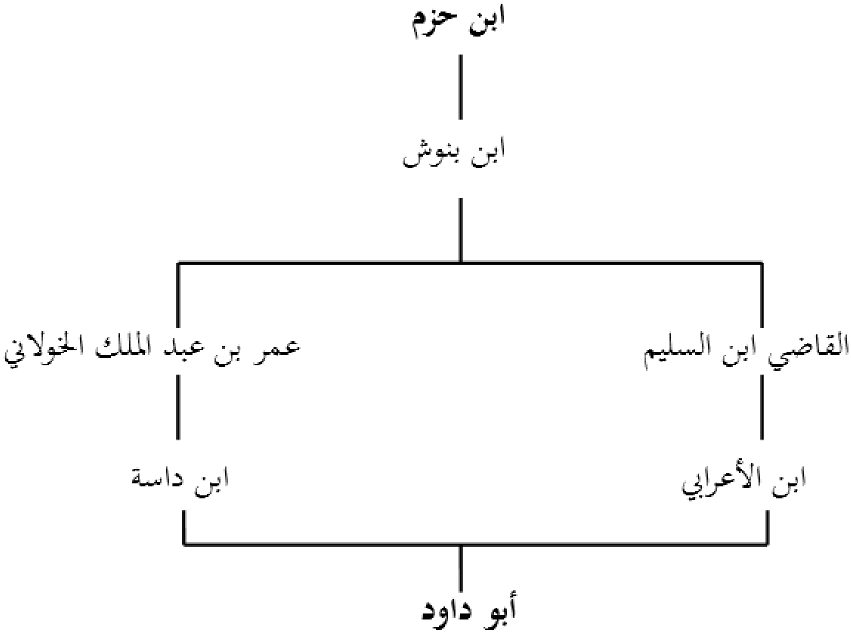
(١) ترجمته في : سير أعلام النبلاء : ٤٠٧/١٥ ؛ لسان الميزان : ٣٠٨/١ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس : ٧٧/٢ ؛ ترتيب المدارك : ٥٤١/٤ ؛ سير أعلام النبلاء : ٢٤٣/١٦ .

(٣) وأكثر رواية ابن حزم للسنن من هذه الطريق ، ينظر على سبيل المثال الأحاديث رقم : (٣٥) ، (٤٤) ، (٥٧) ، (٦٧) ، (١٠٤) ، (١٠٧) ، (١٠٩) ، (١٣١) .. الخ.

(٤) سير أعلام النبلاء : ٥٣٨/١٥ .

الأندلسيين عمر بن عبد الملك بن سليمان الخولاني القرطبي (٣٥٦هـ)[١] ، فأخذ عنه السنن بالبصرة ، ثم عاد إلى الأندلس ، فحدث بها ، وممن أخذ عليه ابن بنوش أيضاً ، وعنه ابن حزم[٢] .



(١) تاريخ علماء الأندلس : ١/١٢٠ .

(٢) وأكثر رواية ابن حزم للسنن من هذه الطريق أيضاً ، ينظر على سبيل المثال الأحاديث رقم : (٢) ، (٣) ، (٣٦) ، (٢٥٦) ، (١٦٥) ، (١٦٦) ، (٣٠٨) .. الخ .

سنن النسائي :

للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي (ت ٣٠٠)، وهي المعروفة بـ (السنن الكبرى) ، وأشهر من أخذ عنه من أهل الأندلس ابن الأحمر : أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت ٣٥٨)[١] ، قال عنه الذهبي : « محدث الأندلس ومسندها الثقة ... جال ووصل إلى الهند ... ثم رجع إلى الأندلس ، وجلب إليها السنن الكبير للنسائي ، وحمل الناس عنه » ، ومن هؤلاء الذي أخذوا عنه ابن بنوش ، وعنه ابن حزم[٢] .

مصنفات أخرى :

قد لا يسع المجال لدراسة جميع مرويات ابن حزم لكتب السنة ؛ لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مستفيضة[٣] ، وقد أحصينا من خلال كتابنا (سنن ابن حزم

---

(١) ترجمته في : تاريخ علماء الأندلس : ٦٨/١٦ ؛ سير أعلام النبلاء : ٦٨/١٦ .

(٢) ورواية ابن حزم للسنن من هذه الطريق ولم أقف على غيرها ، ينظر على سبيل المثال الأحاديث رقم : (٤٣) ، (٩٣) ، (٩٩) ، (١٠٠) ، (١٠٢) ، (١٠٥) ، (١١٢) ، (١٣٦) .. الخ .

(٣) قام أحد الأفاضل بدراسة مرويات ابن حزم ، بدارسة المنهج الحديثي عن ابن حزم ، وعرج على المرويات ، ولكن يبدو أنه من يعطيها المساحة الكافية للبحث والتقصي ،

الظاهري) ما يقرب من (٢٩) كتاباً في الحديث والرجال ضمنها ابن حزم في مؤلفاته بسنده الخاص ، وهي توضح عناية هذا الفقيه الظاهري بكتب السنة خاصة ، كما تعطي دليلاً على سعة اطلاعه ، وعلو سنده ، وحفظه وإتقانه ، رحمه الله تعالى .

وقد ننصح طلبة العلم بعمل دراسة مستقلة لذلك إن تيسر له الأمر ، وأحاط بالمصادر الأندلسية خاصة .

المبحث الثاني
الإمام ابن حزم المحدث

تمهيد :

أثارت كتابات الإمام ابن حزم الظاهري في الحديث وعلومه جدلاً كبيراً بين العلماء قديماً وحديثاً ، رغم أنه لم يؤلف كتاباً مستقلاً بعلم المصطلح أو بقواعد الجرح والتعديل ، ومعظم آرائه التي كانت مثاراً للجدل فيما بعد ، وجدِت منثورة فيما تبقى لنا من تراثه الواسع ، أما المفقود منها خاصة كتابه الكبير (الإيصال) ، فلا بد أن تكون فيه من المعلومات ما لا توجد في غيره ، مع أن الكتاب لم يدركه حتى المتأخرون من العلماء من أمثال الذهبي والحافظ ابن حجر، فقد ضاع في الأندلس ، مثلما ضاعت الأرض نفسها .

ومما لا شك فيه أن القرن الخامس الهجري كان يشكل نهضة حديثية عظيمة بالأندلس ، وكان على رأسها أكثر من جهبذ في هذا الباب ، وإذا أردنا أن نذكر من هو في القمة ، فلا بد أن نشير إلى الحافظ ابن عبد البر حتى قيل عنه : ((كان أبو عمر اعلم مَنْ بالأندلس في السنن والآثار واختلاف علماء الأمصار))[1] ،

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٨/ ١٦٠ .

ويذكر الذهبي حقيقة مهمة تشير إلى العلاقة العلمية بين الإمام ابن عبد البر ، حافظ المغرب ، والإمام ابن حزم الظاهري ، إذ يقول في ذلك : « وقيل : إن ابا عمر كان ينبسط إلى أبي محمد بن حزم ويؤانسه ، وعنه أخذ ابن حزم فنَّ الحديث»[1] ، ولابد أن يتأثر التلميذ بالشيخ ، إذ لا نعلم من شيوخ ابن حزم المتقدمين منهم أو المتأخرين من يصل إلى درجة ابن عبد البر ، ولكن مع ذلك فإن لابن حزم آرائه الخاصة التي خالف فيها شيخه ابن عبد البر في ذلك ، خاصة في بعض المسائل الخاصة بدرجات الحديث ، وأحوال الرجال .

ثم لا بد من التنبيه أن بعض الأفاضل ممن درس منهج الأندلسيين في علوم الحديث ، حاول أن يجعله تبعاً لمنهج علماء المشرق في ذلك ، وأعتمد على قواعدهم في تأصيل المصطلحات ، دون مراعاة الفارق الزماني والمكاني بين مشرق العالم الإسلامي يومئذ ومغربه ، فاعتبر ما قاله أهل المشرق هو الأصل ، وما قاله أهل الأندلس هو الفرع الذي ينبغي أن يخضع للأصل ، وهذا فيه إجحاف بيِّن لجهود أهل الأندلس في ذلك ، خاصة وأن علم مصطلح الحديث لم تكن قواعده قد استقرت بصورة نهائية في ذلك العصر ، ولم يتم ذلك إلى على يد الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، والذي كان معاصراً لإمامي الأندلس ابن عبد البر وابن حزم .

---

(١) المصدر السابق .

الحديث الصحيح :

اختلف علماء الحديث في تحديد مراتب الصحيح على حسب المباحث التي أدرجت في هذا الجانب ، إلا أنهم يكادون يتفقون على أن الحديث الصحيح هو: ما اتصل سنده بنقل العدل التام الضبط إلى منتهاه ، وأضاف إليه البعض : من غير شذوذ ولا علة ، ولم يشترط بعض المحدثين ذلك ، فالمسألة خلافية عند المتقدمين ، وإن كانت أصبحت من القواعد المسلم بها عند المتأخرين حتى يوم الناس هذا[1].

أما مذهب ابن حزم الظاهري في ذلك فهو يقول : « فإذا كان الراوي عدلاً حافظاً لما تفقه فيه ، أو ضابطاً له بكتابه وجب قبول نذارته ، فإن كان كثير الغلط والغفلة غير ضابط بكتابه ، فلم يتفقه فيما نفر للتفقه فيه ، وإذا لم يتفقه فليس ممن أمرنا بقبول نذارته ، ومن جهلنا حاله فلم ندر أفاسق هو أم عدل ؟ وأغافل هو أم حافظ أو ضابط ؟ ففرض علينا التوقف عن قبول خبره حتى يصح عندنا فقهه وعدالته ، وضبطه أو حفظه ، فيلزمنا حينئذ قبول نذارته ، أو تثبت عندنا جرحته، أو قلة حفظه وضبطه فيلزمنا اطراح خبره »[2] .

---

(١) ينظر العراقي ، التقييد والإيضاح : ١/ ٢٠ ؛ ابن حجر ، النكت على ابن الصلاح : ١/ ٧١ .

(٢) الإحكام : ١/ ١٢٩ .

ويبدو ابن حزم موافقاً لشيخه ابن عبد البر في ذلك عند تعريفه للحديث الصحيح ، ولم يشترط نفي الشذوذ والعلة منه ، ويبدو أن هذا هو التعريف الذي ذهب إليه الخطيب البغدادي عندما قال : ((هو أن يكون الحديث ثابتاً عن رسول الله ﷺ ، متصلاً غير مقطوع ، معروف الرجال ، أو يكون حديثاً متصلاً حدثنيه ثقة معروف ، عن رجل جهلته ، وعرفه الذي حدثني عنه ، فيكون ثابتاً يعرفه من حدثنيه عنه ، حتى يصل الى النبي ﷺ وان لم يقل كل واحد ممن حدثه سمعت أو حدثنا حتى ينتهى ذلك الى النبي ﷺ))[1] .

على أن ابن حزم لا يهمل الشذوذ والعلة في سند الحديث ، بل يعدها – كغيره من المحدثين – قدحاً قد يستلزم ردَّ الحديث بسببها ، وإن انطبقت عليه شروط العدالة واتصال السند ، مثاله ما رواه ابن حزم فقال : حدثنا حمام ، ثنا عباس بن أصبغ ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أيمن ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي قال : قال عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد الله بن المبارك عن ثور بن يزيد قال : حدثت عن رجاء بن حيوة عن كاتب المغيرة : أن رسول الله ﷺ مسح على أعلى الخفين وأسفلهما . ثم علق ابن حزم على هذا الحديث قائلاً : ((إن ثوراً

---

(١) الكفاية : ص ٢٤ ؛ وينظر ابن عبد البر ، التمهيد : ١/٢٨ – ٣٠ ؛ وما كتبه د. مصطفى حميداتو ، مدرسة الحديث في الأندلس : ص ٥١٩ .

لم يسمعه من رجاء بن حيوة ، وإنه مرسل لم يذكر فيه المغيرة ، وعلة ثالثة : وهي أنه لم يسمِّ كاتب المغيرة »[1] .

وبهذا يتضح أن ابن حزم له منهج خاص في الحديث الصحيح ، يعتمد على نقل العدل الضابط عن مثله مع السلامة من العلة او الإرسال أو الشذوذ ، وإن كانت الشروط الأخيرة قد جاءت ضمناً في كلام ابن حزم .

ومثال الصحيح ما رواه ابن حزم من طريق النسائي قال : حدثنا محمد بن قدامة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عكيم قال : كتب إلينا رسول الله ﷺ : « **ألا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب** » ، قال أبو محمد : هذا خبرٌ صحيحٌ[2] .

الحديث الحسن :

يعد الحديث الحسن قريباً جداً إلى الحديث الصحيح إذا نظرنا إليه من حيث القبول والرد ، حتى أن بعض العلماء جعله مندرجاً في الصحيح[3] ، وقال ابن الصلاح :

---

(١) ينظر حديث رقم (١٤١) من هذا الكتاب ؛ وينظر أيضاً الأحاديث رقم : (٢٧٤) ، (٣٣٣) ، (٧٢٠) ، (٨٣١) ، (٨٦٧) ، وغيرها .

(٢) ينظر حديث رقم (١٤١) .

(٣) الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث : ص ٥٨ .

« والحديث الحسن قسمان :

أحدهما : الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور ، لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه ، ولا هو متهم بالكذب في الحديث ، أي لم يظهر منه تعمد الكذب في الحديث ، ولا سبب آخر مفسق ، ويكون متن الحديث ، مع ذلك قد عرف بأن روي مثله ، أو نحوه من وجه آخر أو أكثر ، حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله ، أو بما له من شاهد ، وهو ورود حديث آخر بنحوه ، فيخرج بذلك عن أن يكون شاذاً ومنكراً ، وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل .

القسم الثاني : أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة ، غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح ، لكونه يقصر عنهم في الحفظ والإتقان ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من حديثه منكراً ، ويعتبر في كل هذا - مع سلامة الحديث من أن يكون شاذا ومنكراً - سلامته من أن يكون معللا ، وعلى القسم الثاني يتنزل كلام الخطابي »[1] .

وكان الغالب على محدثي الأندلس وعلماء المالكية ، منهم الحافظ ابن عبد البر وأبو بكر بن العربي والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرهم ، وهو أن الحديث

---

(١) مقدمة ابن الصلاح : ص ١٩ .

المقبول منه الصحيح ، ومنه الحسن ، وهو ما نقله العدل الذي خف ضبطه متصلاً سنده غير معلل ولا شاذ[1] .

وخالف ابن حزم هذا المذهب المشهور بين العلماء ، وذهب إلى أن التفاوت بين الرواة في العدالة والضبط والإتقان لا يكون سبباً في ترجيح الأخبار ، وهو يقول في ذلك :

« وقد غلط أيضاً قوم آخرون منهم ، فقالوا : فلان أعدل من فلان ، وراموا بذلك ترجيح خبر الأعدل على من هو دونه في العدالة ، وهذا خطأ شديد ، وكان يكفي من الرد عليهم أن نقول لهم : إنهم أبرك الناس لذلك ، وفي أكثر أمرهم يأخذون بما روى الأول عدالة ، ويتركون ما روى الأعدل .

فأول ذلك أن الله عز وجل لم يفرق بين خبر عدل ، وخبر عدل آخر أعدل من ذلك ، ومن حكم في الدين بغير أمر من الله عز وجل ، أو من رسوله ﷺ أو إجماع متيقن مقطوع به ، منقول عن رسول الله ﷺ فقد قفا ما ليس له به علم ، وفاعل ذلك عاص لله عز وجل ؛ لأنه قد نهاه تعالى عن ذلك ، وإنما أمر تعالى بقبول نذارة النافر الفقيه العدل فقط ، وبقبول شهادة العدول فقط ، فمن زاد حكماً ، فقد أتى بما لا يجوز له ، وترك ما لم يأمره الله تعالى بتركه ، وغلب ما لم يأمره الله عز و جل بتغليبه.

---

(١) د. حمداتو ، مدرسة الحديث : ص ٥٤٢ .

وأيضا فإن العدالة إنما هي التزام العدل ، والعدل هو القيام بالفرائض ، واجتناب المحارم ، والضبط لما روى وأخبر به فقط ، ومعنى قولنا فلان أعدل من فلان ، أي أنه أكثر نوافل في الخبر فقط ، وهذه صفة لا مدخل لها في العدالة إذ لو انفردت من صفة العدالة التي ذكرنا لم يكن فضلا ولا خيراً ...

فاسم العدالة مستحق دونهما ، كما هو مستحق معها سواء بسواء ، ولا فرق، فصح أنه لا يجوز ترجيح رواية على أخرى ، ولا ترجيح شهادة على أخرى ، بأن أحد الراوين ، أو أحد الشاهدين أعدل من الآخر ، وهذا الذي تحكموا به ، إنما هو من باب طيب النفس ، وطيب النفس باطل ، لا معنى له وشهوة لم يأذن بها الله تعالى ، ولا رسوله ﷺ ، وإنما هو حق ، فسواء طابت النفس عليه أو كرهته ، فهو حرام عليها »[1] .

وقد شنع بعض العلماء قديماً وحديثاً على ابن حزم بسبب كلامه هذا ، ولم ينفرد به ، وإنه هو مذهب بعض المتقدمين من العلماء ، قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على قول ابن الصلاح : « ومن أهل الحديث من لا يفرد نوع الحسن ويجعله مندرجا في أنواع الصحيح ، وظاهر من تصرف الحاكم، وإليه يومئ في تسميته كتاب الترمذي (بالجامع الصحيح) ، قال الحافظ :

---

(١) الإحكام : ١/١٣٣ – ١٣٤ .

ما جعله يومئ إليه لأن ذلك مقتضاه ، وذلك أن كتاب الترمذي مشتمل على الأنواع الثلاثة، لكن المقبول فيه - وهو الصحيح والحسن - أكثر من المردود ، فحكم للجميع بمقتضى الغلبة ، فلو كان ممن يرى التفرقة بين الصحيح والحسن، لكان في حكمه ذلك مخالفا للواقع ؛ لأن الصحيح الذي فيه أقل من مجموع الحسن والضعيف، فلا يعتذر عنه، بأنه أراد الغالب فاقتضى توجيه كلامه أن يقال: إنه لا يرى التفرقة بين الصحيح والحسن ليصح ما ادعاه من تسمية ...

ثم ذكر أن أكثر أهل الحديث لا يفردون الحسن من الصحيح ... قد أطلق عليه أيضاً الصحة أبو علي النيسابوري وأبو أحمد ابن عدي وأبو الحسن الدارقطني وابن منده وعبد الغني بن سعيد وأبو يعلى الخليلي وغيرهم ، وأطلق الحاكم اسم الصحة عليه وعلى كتاب أبي داود والترمذي ››[1] .

ويفهم من خلال هذا الكلام : أن ابن حزم لا يرد خبر العدل الذي قل غلطه وخف ضبطه ، وهو ما يسميه العلماء بالحديث الحسن ، إلا أنهم يضعونه في المرتبة الثانية بعد الصحيح ، ولا يفرق ابن حزم بين ذلك ، ولا يرجح رواية الحفاظ الضابطين على رواية من خف ضبطه وقل غلطه ، وهو بذلك يكون قد نظر إلى الأحاديث من حيث القبول والرد ، خاصة وهو يبحث الأحكام الفقهية.

---

(١) النكت على ابن الصلاح : ١/٧٥-٧٦ .

ومع ذلك فإن ابن حزم لم يستطيع تطبيق هذه القاعدة التي نادى بها ودعى إليها ، فقد نجده في بعض الأحيان يصرح بتحسين الحديث ، مثال ذلك ما رواه من طريق النسائي قال : حدثنا إبراهيم بن المستمر حدثنا حبان بن هلال ، حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا أتتك رسلي ، فأعطهم ثلاثين درعاً وثلاثين بعيراً** » ، فقلت : يا رسول الله أعارية مضمونة أن عارية مؤداة ؟ قال : « **بل عارية مؤداة** » . قال أبو محمد : وهذا حديث حسن[1].

ومثاله أيضاً ما رواه من طريق النسائي قال : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا سرار بن مجشر بن قبيصة البصري ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها ، وهي لا تستغني عنه** » ، قال أبو محمد : هذا حديث حسن[2] .

ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها يتبين أن ابن حزم لم يهجر كلياً مصطلح (الحسن) على ما أدعاه البعض تفسيراً لقوله المتقدم ، إلا أنه لجأ إليه في بعض الأحيان للدلالة على نوع الحديث نفسه الذي قال به أئمة هذا الشأن ، مع أنه لم

(١) ينظر حديث رقم (٢٢١١) من سنن ابن حزم .

(٢) ينظر حديث رقم (٢٦٦٥) من سنن ابن حزم .

يكن يعر له أهمية كبيرة ، نظراً لتناوله الحديث من حيث القبول والرد ، لا من حيث قوة وضبط الرواة .

الحديث الضعيف :

الحديث الضعيف هو ما لم تتوفر فيه شروط الصحيح أو الحسن ، ويقال له المردود ؛ لأنه لا يحتج به في الأحكام الشرعية ، قال ابن جماعة : « وتتفاوت درجاته في الضعف بحسب بعده من شروط الصحة ، كما تتفاوت درجات الصحيح بحسب تمكنه منها ، وقسمه أبو حاتم بن حبان إلى قريب من خمسين قسماً ، وكلها داخله في الضابط »[1] .

وجعل ابن حزم الضعيف كل ما سقط من إسناده رجل فأكثر ، وغلباً ما يجعل المرسل من جنس المنقطع ، حيث يقول في ذلك : « المرسل من الحديث : هو الذي سقط بين أحد رواته وبين النبي ﷺ ناقل واحد فصاعداً ، وهو المنقطع أيضاً ، وهو غير مقبول ، ولا تقوم به حجة ؛ لأنه عن مجهول ، وقد قدمنا أن من جهلنا حاله ، ففرض علينا التوقف عن قبول خبره ، وعن قبول شهادته حتى

---

(١) المنهل الروي : ص ٣٨ .

نعلم حاله وسواء قال الراوي العدل حدثنا الثقة أو لم يقل لا يجب أن يلتفت إلى ذلك))[١] .

وقال في مكان آخر : ((ومنه ما ينقل كذلك ، وفيهم رجل مجروح ، أو سيء الحفظ ، أو مجهول ، ومنه ما نقل كذلك ، والقطع في طريقه مثل ان يبلغ الى التابع، ثم يقول قال رسول الله ﷺ ، فهذا هو المرسل ، وأن يقول تابع ، أو من دونه قال فلان الصاحب ، عن رسول الله ﷺ ، وذلك القائل لم يدرك ذلك الصاحب ، فهذا هو المنقطع ..))

ثم قال رحمه الله : ((فوجدنا قوما يقولون : إنها كلها سواء ، وإنها كلها يجب الأخذ بها ، وهذا قول جمهور الحنفيين والمالكيين ، وهذا خطأ ؛ لأن المرسل والمنقطع لا يدري من رواه ؟ واذا لم يعرف من رواه أثقه هو أم غير ثقه ؟ فلا يحل الحكم في الدين بنقل مجهول لا يدري من هو ؟ ولا كيف حاله في حمله للحديث، فقد يكون ثقة صالحاً ، ويرد حديثه اذا كان مغفلاً غير ضابط ، ولا مستقيم الحديث ، سيما اذا كان كاذباً او داعياً الى بدعة ، وكل هذا لا يؤمن في المجهول الذي يحتج به في المرسل))[٢] .

---

(١) الإحكام : ٢/١٤٣ .

(٢) النبذة : ص ٣٠ .

ومعلوم عند أهل العلم بهذا الفن أن المرسل من أنواع الضعيف قطعاً ، وإن كان العلماء اختلفوا في الاحتجاج به ، قال النووي : « المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين ، وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول »[1] ، وقال أيضاً: « وحكاه الحاكم أبو عبد الله عن سعيد بن المسيب ومالك ، وجماعة أهل الحديث وفقهاء الحجاز ... ودليلنا في رد العمل به : أنه إذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله ، فرواية المرسل أولى ؛ لأن المروي عنه محذوف مجهول العين والحال »[2] .

وقال الحافظ : « وإنما ذكر – يعنى المرسل – في قسم المردود للجهل بحال المحذوف ؛ لأنه يحتمل أن يكون صحابياً ، ويحتمل أن يكون تابعياً ، وعلى الثاني يحتمل أن يكون ضعيفاً ، ويحتمل أن يكون ثقة ، وعلى الثاني يحتمل أن يكون حمل عن صحابي ، ويحتمل أن يكون حمل عن تابعي آخر ، وعلى الثاني فيعود الاحتمال السابق ويتعدد ، أما بالتجويز العقلي ، فإلى ما لا نهاية له ، وأما بالاستقراء فإلى ستة أو سبعة ، وهو أكثر ما وجد من رواية بعض التابعين عن بعض »[3] .

---

(١) التقريب (مع التدريب) : ١/٢٩٥ .

(٢) المجموع : ١/٦٠ .

(٣) شرح النخبة المسمى (نزهة النظر) : ص ١٠١ .

وابن حزم يتشدد في شروط الصحيح ، كتشدده في الصفات الأخرى ، ولذا يجب أن ينتبه الباحث إلى ذلك ، ومن هذا القبيل يرد الحديث المرسل مطلقاً ، ويعتبر الإرسال علة قادحة توجب رد الخبر ، يقول ابن حزم في ذلك : « المرسل من الحديث : هو الذي سقط بين أحد رواته وبين النبي ﷺ ناقل واحد فصاعدا وهو المنقطع أيضاً ، وهو غير مقبول ولا تقوم به حجة لأنه عن مجهول ، وقد قدمنا أن من جهلنا حاله ، ففرض علينا التوقف عن قبول خبره ، وعن قبول شهادته حتى نعلم حاله وسواء قال الراوي العدل حدثنا الثقة أو لم يقل لا يجب أن يلتفت إلى ذلك ، إذ قد يكون عنده ثقة من لا يعلم من جرحته ما يعلم غيره ... »(١) .

وهو بذلك يخالف شيخه ابن عبد البر في ذلك ، قال ابن عبد البر : « إن الأصل في هذا الباب اعتبار حال المحدث ، فإن كان لا يأخذ إلا عن ثقة وهو في نفسه ثقة ، وجب قبول حديثه مرسله ومسنده ، وإن كان يأخذ عن الضعفاء ويسامح نفسه في ذلك ، وجب التوقف عما أرسله حتى يسمي من الذي أخبره ... »(٢) .

---

(١) الإحكام : ٢/٢ .

(٢) التمهيد : ١٧/١ .

ومثال المرسل ما أخرجه ابن حزم من طريق سعيد بن منصور قال : ثنا ابن علية ، حدثني الجريري ، عن أبي العلاء بن الشخير قال : انتهى أمر الأشربة أن رسول الله ﷺ قال : « **اشربوا ما لا يسفه أحلامكم ، ولا يذهب أموالكم** » ، قال أبو محمد : وهذا مرسل(١) .

أما مثال المنقطع عنده ما رواه من طريق أبي داود قال : ثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يمين عليك ، ولا نذر في معصية الله ، ولا في قطيعة رحم ، وفيما لا تملك** » ، قال أبو محمد : هذا منقطع ؛ لأن سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر شيئاً إلا نعيه النعمان ابن مقرن المزني على المنبر فقط(٢) .

مما مرَّ يبدو جلياً أن رد ابن حزم للحديث المرسل لم يكن بالشيء الجديد عند العلماء ، وإنما هو رأي الجمهور – كما نقل ذلك النووي – وإن كان الأمر عند

---

(١) ينظر حديث رقم (١٦٥٦) من هذا الكتاب ، وينظر أيضاً رقم : (١٠١١) ، (١٥٥٢) ، (١٦٩٩) ، (١٧٢٨) ، وغيرها .

(٢) ينظر حديث رقم (١٧٢٦) من هذا الكتاب ؛ وينظر أيضاً رقم : (١٧٥٣) ، (١٧٨٠) ، (١٧٨٣) ، (١٧٨٤) ، وغيرها .

غيره يحتاج إلى تفصيل ، ولم يكن ابن حزم من النوع الذي يرتضي بأنصاف الحلول، وإنما هو ظاهري في ذلك ، فهو لازال على ظاهريته هنا أيضاً.

الحديث المعنعن :

الحديث المعنعن : هو الذي يقال في سنده فلان عن فلان بلفظ (عن) من غير تصريح بالتحديث أو الإخبار أو السماع[1] ، وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الإجماع على قبول الحديث المعنعن فقال : « إني تأملت أقاويل أئمة أهل الحديث، ونظرت في كتب من اشترط الصحيح في النقل منهم ، ومن لم يشترطه ، فوجدتهم أجمعوا على قبولهم الإسناد المعنعن ، لا خلاف بينهم في ذلك »[2] .

وذكر النووي : « والصحيح الذى عليه العمل – وقاله الجماهير من أصحاب الحديث والفقه والأصول – أنه متصل ، بشرط أن يكون المعنعن غير مدلس ، وبشرط امكان لِقَاءُ مَنْ أُضِيفَتِ الْعَنْعَنَةُ إِلَيْهِمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وفي اشتراط ثبوت اللقاء وطول الصحبة ، ومعرفته بالرواية عنه خلاف ، منهم من لم يشترط شيئاً من ذلك ، وهو مذهب مسلم ادعى الاجماع عليه ... ومنهم من شرط ثبوت اللقاء وحده ، وهو مذهب على بن المديني والبخاري وأبى بكر الصيرفي

---

(١) ينظر ، النكت على ابن الصلاح : ١/ ١٥٩ ؛ تدريب الراوي : ١/ ٢٢٣ .

(٢) التمهيد : ١/ ١٢ .

الشافعي والمحققين ، وهو الصحيح ، ومنهم من شرط طول الصحبة ، وهو قول أبى المظفر السمعاني الفقيه الشافعي ، ومنهم من شرط أن يكون معروفاً بالرواية عنه ، وبه قال أبو عمرو المقرئ ، وأما اذا قال حدثنا الزهري أن بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ كَذَا أَوْ حَدَّثَ بِكَذَا أو فعل أو ذكر أو روى ، أو نحو ذلك ، فقال الإمام أحمد بن حنبل وجماعة لا يلتحق ذلك بعن ، بل يكون منقطعا حتى يبين السماع ، وقال الجماهير : هو كعن محمول على السماع بالشرط المقدم وهذا هو الصحيح »[١] .

وفي هذا الباب لم يفرق ابن حزم بين الحديث الذي صرح فيه بالسماع والحديث المعنعن ، فالرواية عنده : أن يسمع السامع الناقل الثقة يحدث بحديث من كتابه أو من حفظه أو بأحاديث ، فجائز أن يقول : حدثنا ، وحدثني ، وأخبرنا وأخبرني ، وقال لي ، وقال لنا ، وسمعت ، وسمعنا ، وعن فلان ، كل ذلك سواء، وكل ذلك معنى واحد[٢] .

وقد سار ابن حزم على هذه القاعدة ، وهي أن الأصل في الإسناد المعنعن الاتصال ، وإن كانت هذه القاعدة قد أوقعته في بعض الهفوات ، خاصة مع محمد بن إسحاق ، صاحب السيرة ، فقد حكم ابن حزم بصحة حديثه مطلقاً ، دون

---

(١) شرح صحيح مسلم : ٣٢/١ .

(٢) الإحكام : ٢٦٢/٢ .

النظر إلى عنعناته ، فقد ذكره وأثنى عليه قائلاً : « محمد بن إسحاق أحد الأئمة ، وثقه الزهري ، وفضله على من بالمدينة في عصره ، وشعبة وسفيان .. وقال فيه شعبة : أمير المؤمنين في الحديث »[1] ، إلا أن ابن إسحاق مشهور بتدليسه .

ومثال ذلك ما رواه ابن حزم من طريق مسدد قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمد بن لبيد ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً أتى النبي ﷺ بمثل البيضة من الذهب ، فقال : يا رسول الله هذه صدقة ، ما تركت لي مالاً غيرها ، فحذفه بها النبي ﷺ ، فلو أصابه لأوجعه ، ثم قال : « **ينطلق أحدكم ، فينخلع من ماله ، ثم يصير عيالاً على الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى** »[2] ، وقد سكت عنه ، فهو صحيح عنده ، ولكن ابن إسحاق قد عنعن هنا ، ولم يصرح بالتحديث ، ولا توجد له متابعة ، فالحديث ضعيف .

قال أحمد : كان ابن إسحاق يشتهي الحديث ، فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه ، وقال أيضاً : كان ابن إسحاق يدلس ، وقال الحافظ ابن حجر : مشهور

---

(١) المحلى : ٢٣٦/٣ ، وينظر حديث رقم (٥١٢) .

(٢) ينظر حديث رقم (٢١٤٩) .

بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين ، وعن شر منهم ، وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما[1] .

ومع ذلك فلم يهمل ابن حزم التدليس باعتباره من علل الحديث ، فقد أفرد له بحثاً في ذلك يقول فيه :

وأما المدلس فينقسم إلى قسمين :

أحدهما حافظ عدل ربما أرسل حديثه ، وربما أسنده ، وربما حدث به على سبيل المذاكرة أو الفتيا أو المناظرة ، فلم يذكر له سنداً ، وربما اقتصر على ذكر بعض رواته دون بعض ، فهذا لا يضر ذلك سائر رواياته شيئاً ؛ لأن هذا ليس جرحة ، ولا غفلة لكنا نترك من حديثه ما علمنا يقينا أنه أرسله ، وما علمنا أنه أسقط بعض من في إسناده ، ونأخذ من حديثه ما لم نوقن فيه شيئا من ذلك ، وسواء قال أخبرنا فلان ، أو قال عن فلان ، أو قال فلان عن فلان ، كل ذلك واجب قبوله ما لم يتيقن أنه أورد حديثا بعينه إيرادا غير مسند ، فإن أيقنا ذلك تركنا ذلك الحديث وحده فقط ، وأخذنا سائر رواياته ...

وقسم آخر قد صح عنهم إسقاط من لا خير فيه من أسانيدهم عمداً ، وضم القوي إلى القوي تلبيساً على من يحدث ، وغرورا لم يأخذ عنه ، ونصرا لما يريد تأييده من الأقوال ، مما لو سمى من سكت عن ذكره لكان ذلك علة ، ومرضاً في

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٧/ ٤٦ ؛ طبقات المدلسين : ص ٥١ .

الحديث ، فهذا رجل مجرح ، وهذا فسق ظاهر واجب اطراح جميع حديثه صح أنه دلس فيه ، أو لم يصح أنه دلس فيه ، وسواء قال : سمعت أو أخبرنا أو لم يقل، كل ذلك مردود غير مقبول ؛ لأنه ساقط العدالة غاش لأهل الإسلام باستجازته ما ذكرناه ، ومن هذا النوع كان الحسين بن عمارة ، وشريك بن عبد الله القاضي، وغيرهما[1] .

ومثال ذلك ما رواه ابن حزم من طريق أبي داود قال : حدثنا عمرو بن عون، حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن شريك بن عبد الله القاضي ، عن حصين، عن الشعبي ، عن قيس بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله لهم عليهم من الحق** » ، قال أبو محمد : فيه شريك بن عبد الله القاضي – وهو مدلس يدلس المنكرات – عمن لا خير فيه إلا الثقات[2] .

ونكتفي بهذا المقدار ، ونرجو أن نكون قد أعطينا للقارئ الكريم بعض اللمحات عن القواعد التي اعتمدها الفقيه ابن حزم الظاهري في علوم الحديث، مع مقارنة بمذاهب العلماء الآخرين .

---

(١) الإحكام : ١/١٣١- ١٣٢ .

(٢) ينظر حديث رقم (٢٦٥٨) من هذا الكتاب ؛ وينظر أيضاً : الأحاديث رقم (١٦٧٢) ، (٢٠٥٢) ، (٢٢٩٦) ، (٢٣٣٤) ، (٢٧٠٣) ، وغيرها .

المبحث الثالث
الجرح والتعديل عند ابن حزم

لابن حزم مذهب خاص في الجرح والتعديل ، خالف أحياناً القواعد التي سار عليها أئمة هذا الشأن ، مما أثار حفيظة عدد من العلماء قديماً ، والباحثين حديثاً حول مفهوم الإمام ابن حزم لبعض المصطلحات المتداولة عند علماء هذا العلم ، مثل : العدالة ، الجهالة ، الثقة .. الخ ، وسنحاول في هذا المبحث عرض مثل هذه المصطلحات عند ابن حزم ، مع مقارنة مع أقوال العلماء الآخرين في هذا العلم .

العدالة والثقة :

العدالة في اللغة أتت من العدل : وهو ما قام في النفوس أنه يستقيم ، وهو ضد الجور ، والعَدلَة والعُدلة هم المزكون .

أما في الاصطلاح فقد عرفها العلماء : بأنها ملكة تحمل صاحبها على التقوى، واجتناب الفسق وخوارم المروءة ، قال الخطيب البغدادي : « الواجب أن يقال في جميع صفات العدالة أنها إتباع أوامر الله تعالى ، والانتهاء عن ارتكاب ما نهى

الله عنه »[1] ، أما الحاكم فيقول : إن أصل عدالة المحدث أن يكون مسلماً لا يدعو إلى بدعة ، ولا يعلن من أنواع المعاصي ما تسقط به عدالته، وقال النووي: « العدل أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة»[2].

ويعرف ابن حزم الظاهري العدالة : « هي التزام العدل ، والعدل هو القيام بالفرائض ، واجتناب المحارم ، والضبط لما روى وأخبر به فقط ، ومعنى قولنا فلان أعدل من فلان ، أي أنه أكثر نوافل في الخبر فقط ، وهذه صفة لا مدخل لها في العدالة ، إذ لو انفردت من صفة العدالة التي ذكرنا لم يكن فضلا ولا خيراً ، فاسم العدالة مستحق دونهما ، كما هو مستحق معها سواء بسواء ، ولا فرق ، فصح أنه لا يجوز ترجيح رواية على أخرى ، ولا ترجيح شهادة على أخرى ، بأن أحد الراوين ، أو أحد الشاهدين أعدل من الآخر »[3] .

ووفقاً لذلك فإن ابن حزم ينظر إلى العدالة باعتبارها رتبة واحدة لا تفاضل بينها ؛ لذلك فإنه لا يرى تقديم رواية شخص على آخر اعتماداً على أنه أعدل منه؛ لأن الله لم يفرق بين ذلك ، هذا من وجهة نظره ، والأمر الآخر الذي أثار الانتباه

---

(١) الكفاية : ص ٨٠ .

(٢) التقريب (مع التدريب) : ١/ ٣٠٠ ؛ وينظر : مدرسة الحديث في الأندلس : ص ٦٩٣ .

(٣) الإحكام : ١/ ١٣٤ .

أن ابن حزم لا يفرق هنا بين العدالة والضبط ، بل إن كلمة (عدل) تعني عنده في هذه التعريفات المعنى الاصطلاحي لكلمة (ثقة) عند المحدثين ، الجامعة لعدالة الراوي وضبطه[1] .

ويرى ابن حزم أن العدالة تثبت بطريقين :

١. الشهرة والاستفاضة : فمن اشتهر بالصدق لما يروي فإن مثله لا يسأل عنه : « أن المختلف فيه إن كان ممن اشتهرت عدالته في ضبطه، فالتعديل أولى به، حتى يأتي المجرح ببيان جرحة تسقط لها عدالته ، وأما من كان مجهول الحال، فالتجريح أولى به من التعديل، لأن أصل الناس الجهل بهم والجهل منهم حتى يصح عليهم العلم بهم »[2] .

٢. قول العدول : كما تثبت العدالة بتنصيص أحد العدول ما لم يخالف بدليل ، خلافاً لمن يشترط العدد في المزكين ؛ لأن العدد ليس شرطاً في قبول الخبر ، فلا يشترط في الجرح والتعديل بخلاف الشهادة ؛ لأن العدد ورد فيهاً محدداً للنص ، وهذا الذي ماله إليه الخطيب البغدادي ، وصححه أبو الوليد

(١) المنهج الحديثي عند الإمام ابن حزم : ص ٢١٦ .

(٢) الرسائل : ٩٩/٣ .

الباجي ، واستدل على ذلك بكونه خبراً من عدل ، فوجب أن يعمل به ، كإخباره عن أفعال الرسول ﷺ وأقواله ، كما صححه ابن الصلاح أيضاً[1] .

قال ابن حزم في فصل عقده حول (صفة من يلزم قبول خبره) : « إذا كان الراوي عدلاً حافظاً لما تفقه فيه ، أو ضابطاً له بكتابه ، وجب قبول نذارته ، فإن كان كثير الغلط والغفلة ، غير ضابط بكتابه فلم يتفقه ، فيما نفر للتفقه فيه ، وإذا لم يتفقه ، فليس ممن أمرنا بقبول نذارته ، ومن جهلنا حاله ، فلم ندر أفاسق هو أم عدل ، وأغافل هو أم حافظ أو ضابط ، ففرض علينا التوقف عن قبول خبره حتى يصح عندنا فقهه وعدالته وضبطه أو حفظه ، فيلزمنا حينئذ قبول نذارته ، أو تثبت عندنا جرحته ، أو قلة حفظه وضبطه فيلزمنا اطراح خبره »[2] .

ويحاول ابن حزم هنا الربط بين العدالة والحفظ ، بمصطلح واحد ، لا يرد على لسانه بصورة صريحة ، إلا أنه ينعي بواقع الحال (الثقة) عند المحدثين ، فاشتراط لقبول روايته عدالته ثم حفظه لما يروي من صدره ، ويرى أن ذلك هو المقصود بالتفقه في الدين .

ويقرر ابن حزم أن : « من ساء حفظة لم يتفقه فيما سمع ، إذ التفقه : انما هو الفهم والتدبر فيما حمله من الآمر الشرعي على صرافته ، حسبما حمله ، إذ من

---

(١) المنهج الحديثي عند الإمام ابن حزم : ص ٢٢٥ .

(٢) الإحكام : ١/١٢٩ .

المحال ان يكون من ساء حفظة ، ولم يتيقن ما حمله تفقه فيما لم يتيقن مما لم يضبطه))[1] .

وهذا الذي سار عليه ابن حزم في معظم المرويات ، فسيء الحفظ ، ومن وصف باللين في الرواية ، أو الوهم القليل ، يتوقف ابن حزم في قبوله ولا يحتج به ، فليس عنده قسم ثالث بين الثقة وغير الثقة ، أي الراوي الصدوق أو ما كان وهمه قليلاً ، أي كمن خفَّ ضبطه ، ولم ينزل إلى مرتبة من يترك حديثه جملة ، بل يكون حديثه من قبيل الحسن لذاته أو لغيره[2] .

الجهالة بالراوي :

يقسم المحدثون المجهول في الرواية إلى قسمين[3] :

١. مجهول العين : وهو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ، ولا عرفه العلماء به ، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راوٍ واحد ، وحكم هذا النوع عند العلماء أنه لا يقبل حديثه لأن شرط قبول الخبر عدالة رواته ، ومن أبهم اسمه، لا تعرف عينه فكيف عدالته ؟ .

---

(١) النبذة : ص ٣٣ .

(٢) المنهج الحديثي عند ابن حزم : ص ٢٣٠ .

(٣) ينظر للتفاصيل : التقييد والإيضاح : ص ١٤٤ ؛ تدريب الراوي : ١/٣١٧ .

٢. مجهول الحال : وهو من روى عنه اثنان من الرواة فصاعداً ، ولم يوثق ، فهو مجهول الحال ، وهو مستور عند بعضهم ، أما حكمه فقد قال الحافظ ابن حجر : « وقد قبل روايته جماعة بغير قيد ، وردها الجمهور ، والتحقيق أن رواية المستور ونحوه مما فيه الاحتمال ، لا يطلق القول بردها ولا بقبولها ، بل يقال هي موقوفة ، وإلى استبانة حاله كما جزم به إمام الحرمين ونحوه قول ابن الصلاح فيمن جرح بجرح غير مفسر »(١) .

ومن القضايا المشكلة التي واجعت العلماء قديماً وحديثاً مفهوم (المجهول) عند ابن حزم ، فيرى البعض أن ابن حزم يعتقد أن من لم يرو عنه إلا واحد ، ولم يعرف بالعدالة ، فهو مجهول الحال ، دون تفصيل بين من روى عنه ثقتان أو ثقة واحد ، أما حكم روايته فهو يتابع جمهور المحدثين في عدم الاحتجاج برواية مجهول العين أو الحال فيقول : « ولا يحل الحكم في الدين بنقل مجهول لا يدري من هو ، ولا كيف حاله في حمله للحديث ، فقد يكون ثقة صالحا ويرد حديثه اذا كان مغفلا غير ضابط ... وكذلك ما رواه مجهول الحال »(٢) .

ويرى البعض الآخر أن ابن حزم أطلاق مصطلح (الجهالة) على كل من لا يعرفه من الرجال ، وقد تكون هناك موافقة بينه وبين العلماء الآخرين ، وقد لا

---

(١) نزهة النظر : ص ١٢٦ .

(٢) النبذة : ص ٣٠ ؛ وينظر المنهج الحديثي عند ابن حزم : ص ٢٣٢ .

تحصل هذه الموافقة ، وهو إن أطلق هذا المصطلح ، فيعني به على كل حال جهالة العين[1] .

أما جهالة الحال فغالباً ما تكون عند ابن حزم بلفظ (غير معروف) أو (غير مشهور الحال) أو (ليس بمعروف) ، وغيرها من الألفاظ ، وعلى ذلك فمن وافق فيه ابن حزم قول الأئمة فيؤخذ به ، أما إذا خالفهم في ذلك فلا يؤخذ بتجهيله ، مثال ذلك :

الاسم	قول ابن حزم	قول الحافظ في التقريب
١. أفلت بن خليفة العامري	غير مشهور ولا معروف بالثقة	صدوق
٢. البراء بن زيد البصري	مجهول	مقبول
٣. ثعلبة بن عباد العبدي	مجهول	مقبول
٤. جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب	مجهول	ليس بالقوي

(١) مدرسة الحديث في الأندلس : ص ٧٠١ .

٥. حسان بن بلال المزني	مجهول لا يعرف له لقاء عمار	صدوق
٦. حشرج بن زياد الأسلمي	مجهول	مقبول
٧. حفص بن بغيل	مجهول	مستور
٨. خباب المدني	مجهول	مختلف في صحبته
٩. زيد بن عياش	مجهول	صدوق
١٠. سعيد بن عمارة بن صفوان	مجهول	ضعيف
١١. سليم بن أسود	مجهول	ثقة (كأن ابن حزم ما عرفه)
١٢. عباد بن عبيد الله الأسدي	مجهول	مقبول
١٣. عبد الله بن ثعلبة بن صعير	مجهول	صحابي
١٤. عثمان بن حاضر الحميري	مجهول	صدوق

ومن أكثر المآخذ على الإمام ابن حزم في هذا الباب ، تجهيله للترمذي صاحب السنن ، وفي واقع الحال لم يصل إلينا كلام ابن حزم فيه ، ولكن نقل الذهبي والحافظ ابن حجر هذا الأمر عن ابن حزم وعزوه إلى كتب (الإيصال)، قال الذهبي : « ولا التفات إلى قول أبي محمد بن حزم فيه في كتاب الفرائض من

كتاب الإيصال : إنه مجهول ، فإنه ما عرفه ولا درى بوجود الجامع ولا العلل اللذين له ››[1].

وقال الحافظ ابن حجر : ‹‹ وأما أبو محمد ابن حزم ، فإنه نادى على نفسه بعدم الاطلاع ، فقال في كتاب الفرائض من الإيصال : محمد بن عيسى بن سورة مجهول ، ولا يقولن قائل : لعله ما عرف الترمذي ، ولا اطلع على حفظه ، ولا على تصانيفه، فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ ... ››[2] .

ومن المؤسف أن كتاب الإيصال لم يصل إلينا ، ويرجح البعض أنه لم يصل للحافظين الذهبي وابن حجر أيضاً ، وإنما نقلا كلام ابن حزم في حق الترمذي عن آخرين ، لأن كتاب الترمذي دخل إلى الأندلس قبل مولد ابن حزم ، فيذكر ابن خير الأشبيلي أن أول من أدخل كتاب (الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل) هو محمد بن أحمد ابن محبوب المحبوبي (ت ٣٤٦هـ)[3] وعنه أخذ الناس ، وكان الحافظ ابن عبد

---

(١) ميزان الاعتدال : ٢٨٩/٦ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٣٨٨/٤ .

(٣) فهرسة ابن خير : ص ١١٧ .

البر يرويه عن يحيى بن يوسف عن يوسف بن أحمد عن محمد بن إبراهيم عن الترمذي[1] .

أما الرواية الوحيدة التي وردت عند الإمام ابن حزم لسنن الترمذي ، فجاءت عن أحمد بن عمر بن أنس العذري ، عن علي بن مكي بن عيسون المرادي، وأبي الوفا عبد السلام بن محمد الشيرازي[2] ، قال مكي : حدثنا أحمد ابن أبي عمران الهروي[3] ، حدثنا أبو حامد أحمد بن علي بن حسنويه المقري[4] بنيسابور ، حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي[5] .

وتحقيق هذا الأمر أن ابن حزم لم يكن قد اطلع على سنن الترمذي إلا بعد عودة تلميذه أحمد بن عمر بن أنس من المشرق سنة ٤١٦هـ ، فأخذه عنه ، مثلما أخذ عنه مصنفات أخرى ، وكتاب (الإيصال) صنفه ابن حزم في فترة مبكرة من

---

(١) التمهيد : ٥٨/٦ ؛ وينقل عنه ابن عبد البر أيضاً سؤالاته للبخاري ، ينظر على سبيل المثال التمهيد : ٣٥/١ ، ٣٧/١ ، ٤٠/٤ ، ١٥٦/١٦ ، ٢١٨/١٦ ، وغيرها .

(٢) لم أقف على ترجمة لهما .

(٣) نزيل الحرم قال الذهبي : أخذ عنه خلق من المغاربة والرحالة ، وفاته سنة ٣٩٩هـ . السير : ١١١/١٧ .

(٤) قال الحاكم سمع من أبي عيسى الترمذي جملة من مصنفاته ، وفاته سنة ٣٥٠هـ . السير : ٥٤٨/١٥ .

(٥) ينظر حديث رقم (٢٢٨٨) من هذا الكتاب .

حياته ، أي قبل أن يأخذ سنن الترمذي عن أحمد بن عمر بن أنس ، ثم اختصاره – على ما قيل – في المحلى ، فلا ينتقد ابن حزم في تجهيليه للترمذي ، بعد هذا البيان ، والله تعالى أعلم .

نقد الرجال :

لقد عرض ابن حزم من خلال مصنفاته العديدة لجملة من الآراء والأقوال في تناوله لعدد كبير من الرجال ، وله في بعض الأحيان آراء أثارت الانتقاد ، وقد عرضنا لنماذج منها ، خاصة في باب الجهالة ، ونحن في هذه الورقات لا نستطيع أن نحيط بهذه الآراء ، وقد أفردت بمصنفات مستقلة ، ولكن الذي يهمنا في هذا الباب ، خاصة وأنه سيكون له علاقة مباشرة بكتابنا هذا ، هو نقده لبعض الرجال والمصنفين ، وسنحاول أن نتناول أهم هؤلاء :

١ . **رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده** : هو أبو وائل عمرو بن شعيب ابن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي[(١)] ، حدث عن أبيه فأكثر ، واختلف العلماء فيما رواه عنه ، قال ابن عدي : عمرو بن شعيب في نفسه ثقة ، إلا أذا روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ مرسلاً ؛ لأن جده عنده محمد بن عبد

---

(١) ترجمته في : الجرح والتعديل : ٢٣٨/٦ ؛ تهذيب الاسماء واللغات : ٢٨/٢ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٦٥/٥ ؛ تهذيب التهذيب : ٤١/٨ .

الله بن عمرو ولا صحبة له ، قال الذهبي : «هذا لا شيء ، لأن شعيباً ثبت سماعه من عبدالله ، وهو الذي رباه ، حتى قيل إن محمداً مات في حياة أبيه عبدالله ، فكفل شعيباً جده عبدالله، فإذا قال : عن أبيه ، ثم قال : عن جده ، فإنما يريد بالضمير في جده أنه عائد إلى شعيب »(١) .

قال أحمد بن حنبل : أنا أكتب حديثه ، وروبما احتججنا به ، وربما وجس في القلب منه شيء ، وقال أيضاً : له مناكير ، وإنما يكتب حديثه يعتبر به ، فأما أن يكون حجة فلا .

ونقل الترمذي عن البخاري قوله : « رأيت أحمد وعلياً وإسحاق وأبا عبيد ، وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده، ما تركه أحد من المسلمين ، فمن الناس بعدهم ؟ » ، وتعقب ذلك الذهبي قائلاً : « أستبعد صدور هذه الالفاظ من البخاري، أخاف أن يكون أبو عيسى وهم ، وإلا فالبخاري لا يعرج على عمرو ، أفتراه يقول : فمن الناس بعدهم ، ثم لا يحتج به أصلا ولا متابعة ؟ »(٢) .

قال الحاكم : « وقد أكثرت في هذا الكتاب الحجج في تصحيح روايات عمرو ابن شعيب إذا كان الراوي عنه ثقة، وكنت أطلب الحجة الظاهرة في سماع شعيب

---

(١) ميزان الاعتدال : ٣/٢٦٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٥/١٦٧ .

ابن محمد، عن عبد الله بن عمرو، فلم أصل إليها إلا في هذا الوقت .. » ، ثم روى بسند : « عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن رجلاً أتى عبد الله بن عمرو يسأله عن محرم وقع بامرأة ، فأشار إلى عبد الله بن عمر، فقال: اذهب إلى ذاك، فسله، قال شعيب : فلم يعرفه الرجل، فذهبت معه، فسأل ابن عمر، فقال : بطل حجك ، فقال الرجل : فما أصنع ؟ قال : أحرم مع الناس، واصنع ما يصنعون، وإذا أدركت قابلا، فحج وأهد، فرجع إلى عبد الله بن عمرو وأنا معه ، فقال : اذهب إلى ابن عباس فسله ، قال شعيب : فذهبت معه إلى ابن عباس، فسأله، فقال له كما قال ابن عمر، فرجع إلى عبد الله بن عمرو وأنا معه، فأخبره بما قال ابن عباس، ثم قال: ما تقول : أنت ؟ فقال : قولي مثل ما قالا ، هذا حديث ثقات رواته حفاظ، وهو كالأخذ باليد في صحة سماع شعيب بن محمد، عن جده عبد الله بن عمرو »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما أئمة الإسلام وجمهور العلماء ، فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده إذا صح النقل إليه ، مثل مالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ونحوهما ، ومثل الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، قالوا : الجد هو عبد الله ، فإنه يجيء مسمى ومحمد أدركه ، قالوا : وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان

---

(١) المستدرك : ٢/٦٥ .

هذا أوكد لها وأدل على صحتها ؛ ولهذا كان في نسخة عمرو بن شعيب من الأحاديث الفقهية التي فيها مقدرات ما احتاج إليه عامة علماء الإسلام »[١] .

أما الإمام ابن حزم فهو يرد هذه الرواية مطلقاً ، إلا رواية واحدة ستأتي الإشارة إليها ، وهو يقول في ذلك : « حديث عمرو بن شعيب صحيفة »[٢] ، وقال عنها أيضاً : « صحيفة منقطعة »[٣] ، وقال : « على أنه مضطرب فيها »[٤]، وقال : « وهذه الصحيفة لا يحتج بها »[٥] ، وقال : « هذه صحيفة مرسلة لا يجوز الاحتجاج بها »[٦] ، والظاهر أن ابن حزم أعل هذا السند بما أعله من سبقه من العلماء ، في تفسير لفظة (جده) من قول عمرو بن شعيب ، ويؤكد ذلك ما رواه من طريق أبي داود قال : أخبرنا زهير بن حرب ، أخبرنا إسماعيل بن علية عن أيوب السختياني ، حدثني عمرو بن شعيب ، حدثني أبي عن أبيه ن حتى ذكر عمرو بن العاص قال : قال رول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع ، ولا ربح ما لم يضمن ، ولا بيع ما ليس عندك » ، قال

---

(١) مجموع الفتاوى : ١٨/٨ .

(٢) المحلى : ٤٢/٨ ؛ وينظر حديث رقم (١٧٢٤) .

(٣) حديث رقم (١٨٢٨) .

(٤) حديث رقم (٢٢٦٣) .

(٥) حديث رقم (٢٦٢٦) .

(٦) حديث رقم (٢٧٣٥) .

أبو محمد : هذا صحيح ، ولا نعلم لعمرو بن شعيب حديثاً مسنداً إلا هذا وحده[1].

فيكون مذهب ابن حزم في ذلك قبول الرواية التي وقع فيها التصريح بذكر عبد الله بن عمرو ، ويكون مذهبه في ردِّ روايته هو الشك الواقع في ضمير (جده)، فإذ ذكر عبد الله بن عمرو ، انتفى عنه الاضطراب ، وهذا يوضح توجس الإمام أحمد منه ، وتردد البخاري في قبوله ، ولا نميل لتشكيك الذهبي بنقل الترمذي لهذه الرواية خاصة، وإلا لما صح شيءٌ من نقولاته عن البخاري في كتاب العلل ، فمذهب ابن حزم يوافق جمهور المتقدمين ، ومذهب الحاكم وممن جاء بعده يمثل جمهور المتأخرين ، بقبول رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

٢. **رواية بهز بن حكيم**[2] : بن معاوية بن حيدة ، وثقه ابن معين وعلي بن المديني والنسائي ، وقال البخاري : يختلفون في بهز ، قال الحاكم : « من ثقات البصريين ، ممن يجمع حديثه، وإنما أسقط من الصحيح روايته عن أبيه عن جده،

---

(١) حديث رقم (٢٠١١) .

(٢) ترجمته : الجرح والتعديل : ٢/ ٤٣٠ ؛ سير أعلام النبلاء : ٦/ ٢٥٣ ؛ تهذيب التهذيب : ١/ ٤٩٨ .

لأنها شاذة لا متابع لها في الصحيح ››[1] ، وقال ابن حبان : ‹‹ يخطىء كثيرًا ، فأما أحمد وإسحاق فاحتجا به ، وتركه جماعة من أئمتنا ››[2] .

أما الحافظ ابن حزم فهو لا يقبلها ، وقال في حقها : ‹‹ بهز بن حكيم غير مشهور بالعدالة ، ووالده حكيم كذلك ››[3] ، وقال أيضاً : ‹‹ بهز بن حكيم ليس بالقوي ››[4] ، ولذلك فابن حزم يرد رواية بهز بن حكيم مطلقاً ، دون الإشارة إلى صحيفته .

٣. **عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت٣٣٨هـ)**[5] : قال ابن الفرضي : ‹‹لم يكن لعبد الملك بن حبيب علم بالحديث، ولا كان يعرف صحيحه من سقيمه، وذكر عنه أنه كان يتساهل، ويحمل على سبيل الإجازة أكثر روايته ›› ، وذكره الحافظ ابن حجر ثم قال : ‹‹ كثير الوهم صحفي ›› ، ثم ذكر أن الدارقطني ضعفه.

---

(١) سؤلات السجزي ، رقم (١٥٠) .

(٢) المجروحين : ١٩٤/١ .

(٣) ينظر حديث رقم (١٠٣١) .

(٤) ينظر حديث رقم (٢٩١٤) .

(٥) ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : ١٠١/١ ؛ لسان الميزان : ٥٩/٤ .

أما سند ابن حزم إليه فهو : عن أحمد بن عمر بن أنس ، عن الحسن بن يعقوب ، عن سعد بن فلحون ، عن يوسف بن يحيى ، عن عبد الملك بن حبيب، وقد أغلظ ابن حزم القول فيه ، فقال عنه : « مذكور بالكذب »[1] ، وقال أيضاً: « عبد الملك هالك »[2] ، وقال : «عبد الملك ساقط »[3] ، وقال عنه كذلك : «ابن حبيب لا شيء »[4] .

٤ . **الحارث بن أبي أسامة** (ت ٢٨٢هـ)[5] : قال عنه الذهبي : « الحافظ الصدوق العالم ... صاحب المسند المشهور ، لم يرتبه على الصحابة ولا على الأبواب » ؛ وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الدارقطني : صدوق ، قال أبو الفتح الأزدي : هو ضعيف ، لم أرَ في شيوخنا من يحدث عنه ، قال الذهبي : « هذه مجازفة ، ليت الأزدي عرف ضعف نفسه » ، وقال البرقاني : أمرني

---

(١) ينظر حديث رقم (١٩٠٢) .

(٢) ينظر حديث رقم (١٩٠٩) ، (١٩١٨) ، (٢٠٦١) ، (٢٢٩٨) ، (٢٥٠٨) .

(٣) ينظر حديث رقم (٢٠٦٨) .

(٤) ينظر حديث رقم (٢٠٦٩) ، (٢٠٧٠) ، .

(٥) ترجمته : تاريخ بغداد : ٢١٨/٨ ؛ سير أعلام النبلاء : ٣٨٩/١٣ ؛ لسان الميزان : ١٥٧/٢ .

الدارقطني أن أخرج حديث الحارث في الصحيح ، قال الذهبي : لا بأس بالرجل، وأحاديثه على الاستقامة .

وقد أخذ ابن حزم حديثه : عن حمام ، عن عباس بن أصبغ ، عن محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن الحارث بن أبي أسامة[1] ، وقد ضعفه ابن حزم بالجملة، فقال : « وقد تُرِك حديثه » ، وقال أيضاً : « هو منكر الحديث ، تُرِك بأخره »[2]، وهذا يبين أن ابن حزم كان يترك الرجل لأدنى سبب ، فهو من المتشددين في الجرح .

٥. **عبد الباقي بن قانع** (ت ٣٥١هـ)[3] : مشهور بكتابه (معجم الصحابة) قال البرقاني : البغداديون يوثقونه، وهو عندي ضعيف ، وقال الدارقطني: كان يحفظ، ولكنه يخطئ ويصر ، وعن الحسن بن الفرات ، قال: كان ابن قانع قد حدث به اختلاط قبل موته بنحو من سنتين ، فتركنا السماع منه، وسمع منه قوم في اختلاطه .

---

(١) ينظر حديث رقم (٢٩٣) .

(٢) ينظر حديث رقم (٢٨٤٢) .

(٣) ترجمته في : تاريخ بغداد : ٨٨/١١ ؛ سير أعلام النبلاء : ٥٢٦/١٥ ؛ لسان الميزان : ٣٨٣/٣ .

وقد ترك ابن حزم حديثه مطلقاً ، ولم ينظر إلى من أخذ منه قبل اختلاطه ممن أخذ بعده ، وقال عنه : « وقد اختلط عقله قبل موته بسنة, وهو بالجملة منكر الحديث, وتركه أصحاب الحديث جملة »[1] ، وقال عن حديث : « هذا من بلايا عبد الباقي بن قانع التي انفرد بها والناس رووه مرسلاً »[2] ، وقال عنه أيضاً : « عبد الباقي راوي كل بلية، وقد ترك حديثه، إذ ظهر فيه البلاء »[3] ، وغيرها .

ومن هذا يتبين لك أن ابن حزم قد تشدد تجاه ابن قانع ، فقد قال في حقه : إنه اختلط قبل وفاته بعام ، ورد حديثه كله بسبب ذلك ، ولم يأخذ بما رواه قبل اختلاطه ولم يبينه ، وهو يوضح تشدد ابن حزم في نقد الرجال في الجملة .

---

(١) المحلى : ٦/١٦٨ .

(٢) المحلى : ٧/٣٨ .

(٣) المحلى : ٩/٣٥-٣٦ .

المبحث الرابع
الرواية عند ابن حزم

رغم الجدل الذي أثاره إمام ابن حزم قديماً وحديثاً ، فلا يختلف اثنان أن له باع وقدم راسخة في حفظ الحديث ، قال عنه تلميذه الحميدي : « كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً ، وسمع سماعاً جماً ... وألف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه : « كتاب الإيصال، إلى فهم كتاب الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام » ، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع ، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح

والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك كله، وتحقيق القول فيه ... وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين »[١].

وكان الإمام الذهبي له ميل شديد لابن حزم ، وانتصر له من أبي بكر بن العربي ، بعد أن شنع عليه لمذهبه الظاهري ، فقال الذهبي : « لم ينصف القاضي أبو بكر - رحمه الله - شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد، ولا يكاد ... قال اليسع ابن حزم الغافقي وذكر أبا محمد فقال : أما محفوظه فبحر عجاج، وماء ثجاج، يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بثجاجه ألفاف ، النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين ... قلت (أي الذهبي) : نعم، من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الائمة، لم يسغ له أن يقلد »[٢] .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفق الدين »[٣] .

ولم ينل الإمام ابن حزم هذا الثناء الحسن إلا لحفظه واتقانه ، وإن كانت هناك بعض المآخذ عليه ، فلا يضره ذلك ، ومن سلم من هذه المآخذ عدا رسول الله

---

(١) الجذوة : ٤٨٩/٢ .

(٢) السير : ١٨/ ١٩٠ – ١٩٣ .

(٣) المصدر السابق .

ﷺ ، والماء إذا كثر ذهب خبثه ، فرحم الله الإمام ابن حزم ، وعفا عما أخطأ فيه، وذرب فيه لسانه .

شرط ابن حزم :

لم يكن ابن حزم يحتج إلا بالحديث الصحيح الثابت عن النبي ﷺ ، خاصة في الأحكام الشرعية ، أما شروط الإسناد الصحيح عنده : « فإذا روى العدل عن مثله كذلك خبراً ، حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد وجب الأخذ به ، ولزمت طاعته والقطع به ، سواء أرسله غيره أو أوقفه سواه ، أو رواه كذاب من الناس ، وسواء روي من طريق أخرى أو لم يرو ، إلا من تلك الطريق ، وسواء كان ناقله عبداً أو امرأة ، أو لم يكن ، وإنما الشرط العدالة والتفقه فقط »[(١)] .

ووفقاً لهذه القاعدة فقد وضع الإمام ابن حزم الظاهري شرطاً واضحاً في مقدمة كتابه المشهور (المحلى) قال فيه : « وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لم نحتج إلا بخبر صحيح من رواية الثقات ، مسندٍ ، ولا خالفنا إلا خبراً ضعيفاً ، فبينا ضعفه ، أو منسوخاً فأوضحنا نسخه »[(٢)] ، فالقاعد عند ابن حزم في كتابه المحلى، والذي يشكل عمدة ما تبقى من حديثه المسند ، هي أن الحديث صحيح إذا

---

(١) الإحكام : ١/١٣١ .

(٢) المحلى : ١/٢ .

سكت عنه ، وإلا بين علته ، ووضح سبب ضعفه ، ولكن السؤال الذي يطرح هنا : هل التزم ابن حزم في شرطه هذا ؟

إن المتتبع بإنصاف لهذا الأمر يجد أن ابن حزم كان وفياً لشرطه في أحيان كثيرة ، ولكن ذلك لم يعصمه من تمرير بعض الأحاديث التي لا تتماشى مع شرطه الذي ذكره في مقدمة كتابه ، ومن الأمثلة على ذلك :

١. قال ابن حزم : حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ، حدثنا عبد الله بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا ابن وضاح ، حدثنا موسى بن معاوية ، حدثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي عن معاذة العدوية عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كنا نعد الصفرة والكدرة حيضاً ، وسكت عنه ، وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف عند جمهور المحدثين[1] .

٢. ما رواه من طريق عبد الرزاق : عن ابن جريج ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها – وهي تذكر شأن خيبر – قالت : كان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة إلى اليهود ، فيخرص النخل حين يطيب أول الثمر قبل أن يؤكل ، ثم يخيرون اليهود بين أن يأخذوها بذلك الخرص أو يدفعوها إليهم بذلك . وهذا الحديث سكت عنه ابن حزم ، قال الحافظ ابن حجر : « وهذا فيه جهالة الواسطة ، وقد رواه عبد الرزاق

---

(١) ينظر حديث رقم (٢٨٦) .

والدارقطني من طريق ابن جريج عن الزهري ، ولم يذكر واسطة ، وهو مدلس))[1] .

٣. ما رواه من طريق البزار قال : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لا تنكحوا النساء لحسنهن ، فلعل حسنهن يرديهن ، ولا تنكحوهن لأموالهن ، فلعل أموالهن يطغيهن ، وأنكحوهن للدين ، ولأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل**)) ، وسكت عنه ابن حزم ، وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ، وهو مشهور بالضعف[2] .

٤. ما رواه من طريق ابن أبي شيبة قال : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه دعا قومه إلى الله ورسوله ، فرماه رجل منهم بسهم ، فمات فعفا عنه ، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فأجاز عفوه وقال : ((**هو كصاحب ياسين**)) ، وقد سكت عنه ابن حزم ، قال الهيثمي : ((وفيه أبو عبيدة ، وهو ضعيف))[3] .

---

(١) ينظر حديث رقم (٩٩٨) .

(٢) ينظر حديث رقم (٢٤٣٢) .

(٣) ينظر حديث رقم (٢٧٨٨) .

ويبدو أن هذه القاعدة كانت قريبة جداً لقاعدة أبي داود السجستاني في سننه، قال ابن داسة سمعت أبا داود يقول : ذكرت في السنن الصحيح وما يقاربه فان كان فيه وهن شديد بينته، قال الذهبي : وقد وفىَّ رحمه الله بذلك بحسب اجتهاده، وبيَّن ما ضعفه شديدٌ ووهنه غير محتملٍ ، وكاسَر عن ما ضعفه خفيفٌ محتملٌ ، فلا يلزم من سكوته ، والحالة هذه عن الحديث أن يكون حسناً عنده ، ولا سيما إذا حكمنا على حد الحسن باصطلاحنا المولد الحادث الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسمٍ من أقسام الصحيح ، الذي يجب العمل به عند جمهور العلماء ، أو الذي يرغب عنه أبو عبد الله البخاري ويمشِّيه مسلمٌ ، وبالعكس فهو داخل في أداني مراتب الصحة ، فإنَّه لو انحط عن ذلك لخرج عن الاحتجاج ولبقي متجاذباً بين الضعف والحسن [1] .

وسار ابن حزم على قاعدة قريبة جداً من قاعدة أبي داود ، ولذا فيمكن القول بصورة مجملة : إن كل ما سكت عنه ابن حزم في كتابه (المحلى) فهو صحيح عنده، وهو ظاهر عند تتبع معظم الأحاديث ، وقد خالف في بعض الأحاديث تعرضنا قبل قليل لذكر طرفاً منها ، نبهنا عليها اعتماداً على أقوال أئمة الشأن في هذا الباب ، والله الهادي للصواب .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢١٣/١٣ .

هذا ما وفقنا الله تعالى إليه في إخراج هذا الكتاب ، ونسأله تعالى أن يجنبنا الخطأ والزلل ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذا الكتاب صاحبه وقارئه ، وكل من كانت له يد في إخراجه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الفهرست